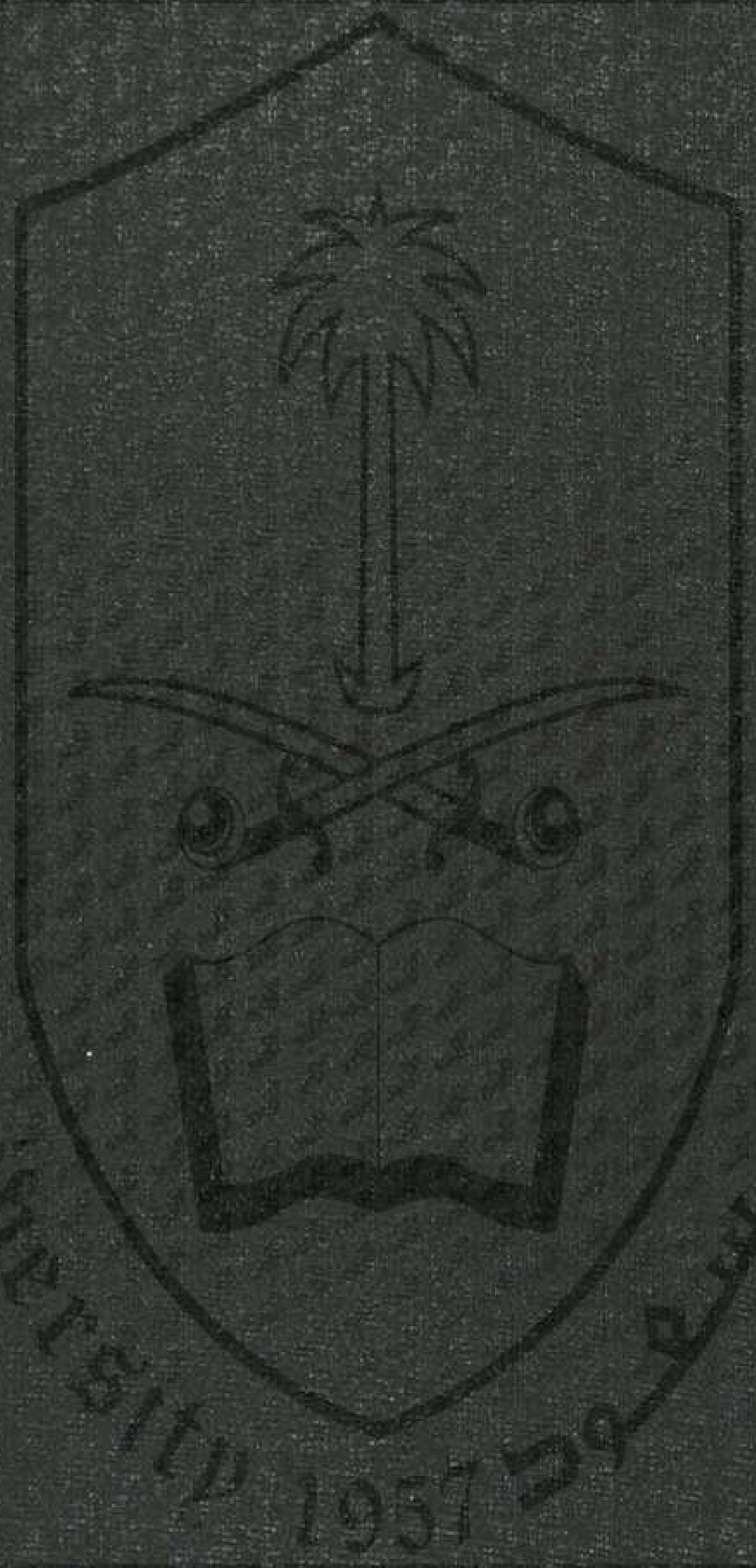


٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش٥ق
موسى - ٥٤٤هـ. كتبه عبد اللطيف لطفي بن علي
سنة ١٢٦٧هـ .
٢٢٧ق ٢١س ٢٢×١٣,٥سم

١٧٠٨ نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن ، طبع
الأعلام ٥ : ٢٨٢ كشف الظنون ٢ : ١٠٥٢
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض ، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز
الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا
ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما
واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم عقلا وحلما
واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم
رافة ورحما زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما
واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا
واذانا صما فامن به وعزره ونصره ووقره من جعل الله
له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب
الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما اما بعد اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين
ولطف بي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين
شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجايب ملكوته واثار قدرته

بما ملأ قلوبهم حيرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا
همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم
بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته
وعجايب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون فانك كررت علي السوال في مجموع يتضمن
التعريف بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له من توقير
واكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر او قصر
في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا
وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال
فاعلم اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا
وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا
صعبا ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول
وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقايق من علم الحقايق
مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه ويمتنع
او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وهاهنا مهامه فيح تحار
فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام
ان لم تهتد بعلم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام
ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته لي ولك
في هذا السوال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم

وخلقه العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يدين الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما
اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله
بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر
النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد
ابن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث حدثنا موسى بن اسماعيل
حدثنا حماد حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم
فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة **فبادرت** الى
نكت مسفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض
اختلستها على الاستعجال لما المرء بصدده من شغل البدن
والبال بما طوقه الانسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم
الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله
وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثم سوى
حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع
يفيده او يستفيده جبر الله تعالى صدع قلوبنا وغفر
عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر

فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته **وقد**
نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله **ترجمته** بالشفا بتعريف
حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة **القسم**
الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله عليه
وسلم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
وفيه عشر فصول **الباب الثاني** في تكميله تعالى له المحاسن خلقا
وخلقا وقرانه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه
سبعة وعشرون فصلا **الباب الثالث** فيما ورد من صحيح الاخبار
ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به الله
في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا **الباب الرابع**
فيما اظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات وشرفه
به من الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا **القسم الثاني**
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب القول
فيه في اربعة ابواب **الباب الاول** في فرض الايمان به ووجوب
طاعته واتباع سنته خمسة فصول **الباب الثاني**
في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول **الباب الثالث**
في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول
الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم والفرض ذلك
وفضيلته وفيه عشرة فصول **القسم الثالث** فيما يستحيل

في حقه عليه السلام وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور
البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله تعالى هو سر
الكتاب ولباب ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد
والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعده
وعند التقصي لموعدته يتنفس صعداء العدو اللعين ويشرق
قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره
ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور
الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا
الباب الثاني في أحواله الدنيوية وما يجوز طروؤه عليه من
الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع
في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو
حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر
استتابته والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة
للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصرت الكلام
فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب وتتم الأقسام والأبواب

ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة
تمحو كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين
وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه
أستعين القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا قال الفقيه القاضي أبو الفضل
وفقه الله تعالى وسدده لا خفاء على من مارس شيئا من العلم
أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام
وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام
وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام فمنها
ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه وأثنى به عليه
من أخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه
فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر وزكى ثم مدح
بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا
وعودا والحمد لله أولى وأخرى ومنها ما أبرزه للعيان
من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن
الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة
والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم
يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت
أنواره علينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا حدثنا القاضي الشهيد أبو علي حسين
بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار

وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن
محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا
اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر
عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبرائيل بمحمد صلى الله عليه
وسلم تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله
منه قال فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى
عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز
ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر
معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الاية قال السمرقندي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله
عز وجل اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة
او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون
مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك

النصيحة

النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره
رضي الله عنهم معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من اشرفهم
وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه
بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورافته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه اسمين
من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم الاية **وروي** عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عنه
على الصلوة والسلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا
وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح **قال** ابن
الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام
فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه
الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك
نبيا **وقال** جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه
عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم
في الصورة والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا
صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال عز وجل

من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمداً
صلى الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة
وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين عن كل مكروه والواصل فيهما الى كل
محبوب الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة
كما قال عليه الصلوة والسلام اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعل لها فرطا وسلفا وقال السمرقندي
رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل
ورحمة للكافرين بتأخير العذاب قال ابن العباس رضي الله
عنهما هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب
غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء
قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل
علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين وروى عن جعفر ابن محمد الصادق
رضي الله عنه في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد
صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور السموات

والارض

الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض
ثم قال مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعاً
في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه
وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان
والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم عليه
السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها
يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه
كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله تعالى اعلم وقد سماه
الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نوراً وسراجاً منيراً فقال تعالى قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
الى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس
رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل رضي الله عنه بنور
الرسالة وقال الحسن رحمه الله ملاءه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية
وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول

والارض

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في الاذان
والتشهد قال القاضي وفقه الله تعالى هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه صلى الله عليه وسلم عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي
العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها
وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهد
اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما انزل اليهم وتنويهه بعظيم
مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه قال قتادة
رضي الله عنه رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا
متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال
ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله
اعلم فقال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت
تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك
احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة
ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته واسمه باسمه فقال اطيعوا الله
والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة
ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا
شيخنا ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه

وقرانه على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر بن داسه التمار قال
حدثنا ابو داود السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا
شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان
قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله
عز وجل على مشية من سواه واختارها بثم التي للنسق والتراخي بخلاف
الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره
الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا فاجازه بعضهم
ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية
ان الله تعالى يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الايتين وروي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد

تخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله
والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو
الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي
مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ
ذلك الحسن البصري فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك
في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى عبد الرحمن
السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
الآية انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة
التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرون على ان
الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو
الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق
به المؤمنون وقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي رضي الله عنه وقيل
غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

الفصل الثاني في وصفه تعالى له صلى الله عليه وسلم بالشهادة وما يتعلق بها

من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته
لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصايصه عليه الصلوة والسلام
ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق اخبرنا الشيخ ابو محمد بن
عتاب رحمه الله قال انبانا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح ثنا
هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى
حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به
اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار رضي الله عنهما وفي بعض طرقه عن
ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا
قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق

والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي
به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة
واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة
وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي
حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة
عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته
الحمادون لله تعالى على كل حال وقد قال الله تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الايتين وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله
رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله تعالى سمحا سهلا طلقا برا لطيفا
صلى الله عليه هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل
امته بهذه الاية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الاية وقوله تعالى
وسطا اي عدولا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء

عليهم السلام على اممهم ويشهد لكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق
قيل ان الله تعالى جل جلاله اذا سال الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه
وسلم للانبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي عليهم السلام وقيل معنى
الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي
وقال الله تبارك وتعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم
وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام
الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه السلمي **الفصل الثالث** فيما ورد في خطابه اياه مورد
الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال
ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله
وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى
السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت
لهم قال ولو بدا النبي عليه السلام بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق
قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى
سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره
من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي

ذنبك ومن اكرامه تعالى اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي عليه السلام معاتب
بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم قال
اعلمه الله تعالى انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتادب باداب القران
في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام قبل
العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال الله تعالى ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء عليهم السلام بعد الزلات وعاتب
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك
اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتب عليه وخيف
ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه
وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل لعنه الله
للنبي عليه السلام انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله
تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم

لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك
قال كذبني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى
هذه الاية ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى
له عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم
وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا
يسمونه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء
ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله
تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك الاية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك
كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما
ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا
يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل
يا ايها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى
لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله
جل جلاله بمدة حياته صلى الله عليه وسلم واصله بضم العين من العمر

ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا
اكرم عليه من محمد صلى الله وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد
صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن
الحكيم الآيات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال
فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي عليه السلام انه قال لي عند ربي
عشرة اسما ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يا سين يا انسان اراد بالانسان
محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله عز
وجل والزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يا يس يا محمد وعن كعب رضي الله عنه يس
قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال تعالى والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين
فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان
فيه من التعظيم ما تقدم ويأكد فيه القسم عطف القسم الآخر
عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اى على طريق لا اعوجاج

فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد
ولد آدم ولا فخر وقال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا
البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي
وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت
فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي
اى نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك
ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله تعالى وهذا البلد الامين قال ابن عطاء آمنها الله تعالى بمقامه فيها
وكونه بها فان كونه صلى الله عليه وسلم امان حيث كان ثم قال
ووالد وما ولد من قال آدم فهو عام ومن قال هو ابراهيم عليه
السلام وما ولد فهي ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله
عليه وسلم فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال الله الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف
اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال
سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله واللام جبريل والميم
محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه
الى سهل وجعل معناه الله تعالى انزل جبريل على محمد صلى الله عليهما
بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال

ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه
محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم
يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم الله
تعالى وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن
محمد الصادق في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه
وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله تعالى وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال اجل اسمه
والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة وقيل
كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي
فنزلت السورة قال القاضي وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة
من كرامة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وتنويهه به وتعظيمه اياه
ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله
والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة
الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد
ان اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق
اي مالك في مرجعك عند الله تعالى اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا
وقال اي مما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك

في الدنيا من النبوة والرسالة الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه الآية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات
الانعام في الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب
في الآخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي عليه السلام
انه قال ليس في القرآن آية ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدده الله تعالى عليه من نعمه
وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه الله تعالى بما آتاه
او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه
وآواه اليه وقيل آواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك
اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك
يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به
بنشره واشادة ذكره بقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر
النعمة التحدث بها وهذا خاص له عام لامته صلى الله عليه وسلم وقال الله
تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون
في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل في قوله
تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا
ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله

وشرف العبد ما يقف دونه العد واقسم جل جلاله على هداية المصطفى
صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي
يوحى اوصله اليه عن الله جبريل عليه السلام وهو شديد القوى
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه من ايات ربه الكبرى وقد نبه على
مثل هذا تبارك وتعالى في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
عليه الصلوة والسلام من ذلك الجبروت وشاهده من العجايب
الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه
العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال
الله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه
اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب
الايجاز وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام
عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى
قال القاضي رحمه الله اشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى
بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام وعصمتها من الافات في هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى وبصره
ما زاغ البصر وما طغى قال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس
الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم انه لقول رسول
كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين
اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء

امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله
عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام
فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعني محمدا عليه الصلوة والسلام قيل
راى ربه وقيل راى جبرائيل عليه السلام في صورته وما هو على الغيب
بظنين اي بمتهم ومن قرا بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به
والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال الله
تعالى ن والقلم وما يسطرون الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم
قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به
وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب
في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع
لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير
ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرف التاكيد وقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل
القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله تعالى
قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه
وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف
الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى ثم اثنى على فاعله
وجازاه عليه سبحانه ما اغزر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن
قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون ثلث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر

سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه
صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم
فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين
ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره
بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته
لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان
مجده

الفصل الخامس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه
الصلوة والسلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام
وقيل اسم لله عز وجل وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر
يا هادي وقيل هو امر من الوطئ والهاء كناية عن الارض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله
تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل حدثنا
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابو الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت حدثنا ابو ذر الحافظ
قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا هاشم بن قاسم عن جعفر
عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام
على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طإ الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام

وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلوة والسلام كما قيل
او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا
ومثله ايضا قوله تعالى لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله
تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين قبله ومحنتهم وسلاه بذلك من محنته بمثله
من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره
بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغ
وابلاغ ما حملت ومثل قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر
على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه تعالى بهذا في آي كثيرة
من هذا المعنى والله المستعان **الفصل السادس** فيما اخبر الله به في كتابه
العزيز عن عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء صلوات الله

وسلامه عليهم اجمعين وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين
وقال ابو الحسن القابسي اختص الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال
المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له
محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه
ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه
لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم رسول الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
لم يبعث الله نبيا من آدم صلى الله عليه وسلم فمن بعده الا اخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن
به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي
وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال
تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به
رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى ان بعثك آخر الانبياء
وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان
اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره صلى الله عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم
الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم صلى الله عليه وسلم كالذر وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله
تعالى ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث
الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات
وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة وكرامة الا وقد اعطي محمد
صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله صلى الله عليه وسلم
ان الله خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم وخاطبه عليه
السلام بالنبوة والرسالة في كتابه تعالى يا ايها النبي يا ايها الرسول
وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته
لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة
محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام الفصل الثامن في اعلام
الله تعالى خلقه بصلاته وولايته له ورفعه العذاب بسببه
عليه السلام قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت
بمكة فلما خرج النبي عليه الصلاة والسلام من مكة وبقي فيها من بقي
من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية وقوله تعالى ولولا رجال
مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله

وهم يصدون عن المسجد الحرام وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب كونه فيهم
ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم
بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم
واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية ايضا تاويل
آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقرائتي عليه
حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قال حدثنا
ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن
نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة
بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال عليه السلام انا امان لاصحابي
قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم
الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش
وما دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظر البلاء
والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون الاية
ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة
ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك

ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة
على هذا اي في صلوة الله علي وملائكته وامره الامة بذلك الى
يوم القيمة والصلوة من الملائكة استغفار ومنا له دعاء ومن الله
تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر
حكم الصلوة عليه ذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى اليس بكاف عبده والهاء هدايته له قال الله
ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده وقال الله تعالى وايده
بنصره والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
والصاد صلوته عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه
اي وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة صلوة
الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
وقيل علي كرم الله وجهه وقيل المؤمنون على ظاهره

فصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم
تضمنت هذه الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته
عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء
جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته
على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان

وما يكون قال بعضهم اذا غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور
لك وقال مكى جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره
منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل
بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح والطايف وقيل برفع ذكرك فى الدنيا
وينصرك وبنفوذك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى عدوه
له وفتح اهم عليه واجتباه له ورفع ذكره وهدايته الى صراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره نصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التى جعلها فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه فى الدنيا
والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم كما قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه
من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا
لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله تعالى
ثم به صلى الله عليه وسلم من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
اى تجلونه وقيل تنصرونه وقيل بالغون فى تعظيمه وتوقروه اى
يعظموه وقرا بعضهم تعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر ان
هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبى عليه السلام فى هذه السورة
نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام
المحبة وتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام

فالمغفرة تبرئته من العيوب وتمام النعمة ابلاغه الدرجة الكاملة
والهداية وهى دعوة الدعوة المشاهدة وقال جعفر بن محمد الصادق
من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحيوته ونسخ به شرايع
غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه فى المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته
الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركنى التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون يعنى بيعة الرضوان اى انما يبايعون الله
ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله
تعالى وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس فى الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان
الاول فى باب المجاز وهذا فى باب الحقيقة هو الله تعالى وهو خالق
فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس فى قدرة البشر توصيل
ذلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه
وكذلك قتل الملئكة لهم حقيقة وقد قيل فى هذه الاية
الاخرى انها على المجاز العربى ومقابلة اللفظ ومناسبته
اى ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء
والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اى ان منفعة الرمى كانت
من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه
صلى الله عليه وسلم ومكانته عنده تعالى وما خصه به على غيره
من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة
الاسراء في سورة سبحان الذي اسرى والنجم وما انطوت عليه
القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب
ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله
وما رفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلاكه
وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم
وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول
السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله
تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير
وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة
ثم اجاب الله تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله فقال تعالى ان
شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل
والمعز والوحيد والذي لا خير فيه وقال الله ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول
والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران
العظيم سايرة وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى

وانذار

وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبأ القران العظيم وقيل
سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله
استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له دون الانبياء
وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس
ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال الله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الاية قال الفقيه القاضي رحمه الله فهذه من خصايصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال
عليه الصلوة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس
وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة
وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال الله
تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة
الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه السلام الباب الثاني

في تكميل الله تعالى له المحاسن خَلقاً وخُلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقاً اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله
عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال
والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة
الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله
تعالى زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه
ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر
والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب
والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه
الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه من اصولها
في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون

هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار
الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول
السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** قال
القاضي رحمه الله تعالى اذا كانت خصال الكمال والجلال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنين
ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم
او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال
ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ
عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت
فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا
ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة
والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة
بالانبياء عليهم السلام والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة
ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء
الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر
ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم والتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله

والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله تعالى ووضع الاحصى والاعلام بل
عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته صلى الله عليه وسلم وتكليم الجمادات
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل
وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنفس بالرعب والاطلاع
على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس
الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به
لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحار دون ادانيها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله لا خفاء
على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم
محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه
وسلم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة
وفي جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ
بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها
فقد جاءت الاثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي
وانس بن مالك وابو هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين
وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخزيم بن
فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله تعالى عنهم من انه صلى الله

عليه

عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب
الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين
والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد رقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن
ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى
الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا
افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي
كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب رضي الله عنه
ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا
في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له
رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت ام معبد
رضي الله عنها في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه
تلالؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر
وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه
يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها
وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع
كذلك نقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى **فصل** واما نظافة
جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله عز وجل في ذلك بخصايص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة
العشر وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة حدثنا
سفيان بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر قال
حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي
قال حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة حدثنا
جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه قال ما شممت
عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة
عطار وقال غيره مسها بطيب اولم يمسها يصافح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين
الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس
رضي الله عنه فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله

رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه
احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك
كانت رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر
رضي الله عنه اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت
خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره
وشمايله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت
الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت لذلك رايحة طيبة صلى الله
عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا
نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عايشة او ما علمت ان الارض
تبلغ ما يخرج من الانبيا فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن
مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه
صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه الامام
ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك
ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج
ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير
طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه
وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا
وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال
قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته

وسنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذالك له وقوله له لن تصيبك النار ومثله
شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه
وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد
روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده
وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما
والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف
في نسبها قيل هي ام ايمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح
من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة
ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا
عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة
وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عايشة رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه قال اوصاني النبي صلى الله
عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي
الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام
وصلى ولم يتوضأ وقال عكرمة رضي الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم

كان محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية
انه كان صلى الله عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل
تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة
مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره
من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب
منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا
يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها
ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام
في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه الصلوة والسلام
اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها مثله قالت زيادة زاده الله
تعالى اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر
بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي
وحكى بقي بن مخلد عن عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله
عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة

صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملئكة والشياطين
ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنا مسجده صلى الله عليه وسلم وقد حكي
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجماً
وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل
وغيره وذهب بعضهم الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة
في ذلك هي من خواص الانبياء وخصالهم صلى الله عليه وسلم
كما اخبرنا ابو محمد عبد الله ابن احمد العدل من كتابه قال
حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني قال حدثنا ام القاسم بنت
ابو بكر عن ابيها قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسيني
قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد
بن بن سليمان قال حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا
همام قال حدثنا الحسن عن قتادة عن يحيى ابن ثاوب عن ابي
هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله لموسى كان يبصر النملة على الصفاء في الليلة الظلماء مسيرة
عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه
وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والخطوة بما راى من آيات
ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد
اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديداً وعاوده ثلث مرات كل ذلك يصرعه رسول
الله صلى الله عليه قال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احداً

اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض
تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
ان ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشى مشى تقلعاً
كانما ينحط من صبب

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة
القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الا
فضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع
وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان
وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم وعلم السنة
العرب والعجم يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها
بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل
حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار
واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي
وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان
ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون
عفافها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم
من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له
الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلماً ومن اتى الزكوة

كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد
ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة
ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم
ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا
الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه عليه الصلوة والسلام لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط
ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فا
فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه
بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال ان هذا من كتابه صلى الله
عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهور لما كان كلام
هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه
الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس
بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله عليه الصلوة والسلام في حديث
العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي
سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين

وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى
فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله عليه الصلوة والسلام
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم
يد على من سواهم وقوله عليه الصلوة والسلام الناس كاسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك
ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم
او سكت فسلم وقوله عليه السلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله
اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله عليه السلام لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
وقوله عليه السلام ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها
ونهيه عليه السلام عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله
عليه السلام اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله عليه
السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله
عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله عليه السلام في بعض
دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع
بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها

من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضاء ونزل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة
من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه عليه السلام نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها
سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها
ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله عليه السلام حمي الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد
من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب
به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك
فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له
بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها
ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي
مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد رضي الله
عنها في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه
وسلم **فصل** قال القاضي رحمه الله واما شرف نسبه وكرم
بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل
ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة
قريش وصميمها وافضل العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه
ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي

القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي
ابو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا ابو ذر العبد بن احمد قال حدثنا
ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا محمد بن
يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد
قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت
من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه
وعن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير
قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم قال الترمذي رحمه الله هذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
اختار منهم بني آدم ثم اختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم
قريشا فاختار بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار
الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله
تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله عز وجل الى الارض في صلب آدم
وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى
ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي
لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله
عنه في مدح النبي عليه السلام المشهور **فصل** واما ما تدعو ضرورة
الحياة اليه مما فصلنا فعلى ثلثة اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب
الفضل في كثرته وضرب يختلف الاحوال فيه **فاما** ما التمدح والكمال
بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل
العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة
وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة
والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز
وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد
على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام
الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي عليه السلام قد اخذ
من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ

بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ
حدثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثنا
معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقداد بن معدي
كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء
شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة
الشرب والاكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل
وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا
كثيرا **وقد روي** عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام
اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ
جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم
طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا الحديث بريرة رضي الله عنها وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل
سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد
بيان سنته صلى الله عليه وسلم اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم
لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه
من امره بقوله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وفي
حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم
لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس

له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته
والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى الله
عليه وسلم انما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول
صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك
الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه
الأيمن استظهارا على قلة النوم لانه على جانبه الأيسر أهنأ لهدو
القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الأ
يسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على
الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما افضل هذه الأمة اكثرها نساء مشيرا اليه
صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني
مباه بكم الأمم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد

قال سهل بن عبد الله التستري قد حببن الى سيد المرسلين
فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن
وابن عمر وغيرهم رضي الله تعالى عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان
يلقى الله عز وجل عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من
الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا
فكيف يثني الله تعالى عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا
يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له
شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص
وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام
او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة
في كثير من الأوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من قدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة نبينا صلى الله
عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه عز وجل
بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو
فقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث فدل على ان حبه لما ذكر

من النساء والطيب التي هي من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل للاخرة للفوائد التي ذكرناها في التزوج وللقاء الملئكة في
الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان
حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية
فتنتهن وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن
اقدر على القوة في هذه واعطي الكثير منه ولذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم
يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان
يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه
النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي السلام قوة
اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته
طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل
واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وروي نحوه
عن ابي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على
مائة امرأة او تسعة وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله
عنهما كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكانت له ثلثمائة سرية
وحكى النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان
لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون
امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز

بقوله تعالى هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله
عنه عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع
مدح الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق
من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها
وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية
حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك
معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي
عن قيلة انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك
السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث
فاما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة
سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما
الضرب الثالث فهو ما يختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس
فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته

ومتماث من اعتراه واملة وتصريفه في مواضعه مشترياته المعالى
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل
الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكا له غير موجهه في وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جد السلامة
بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومنقصة النذالة فاذا التمدح بالمال
وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملئ بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من
العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده
من المال الموصل اليها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا
مال له فكانه ليس في يده منه شئ والمنفق ملئ غني بتحصيله فوائد
المال وان لم يبق في يده من المال شئ فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه
وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام
والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك
الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا
امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى غيره وقوى به المسلمين
وقال عليه السلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا

ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت فدفعها لبعض نسائه
فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه
مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته
اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ
ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره
اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن
وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض
وجبي اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة
المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر
ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظنتها

فصل اما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة
التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة
الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة
بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها
دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى

عليه بذلك فقال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله
تعالى عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا
وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة
الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لساير الانبياء صلوات الله
عليهم اجمعين ومن طالع سيرهم ومنذ صباهم الى مبعثهم حقق
ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة
في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى يحيى عليه
السلام العلم بكتاب الله تعالى في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين
او ثلث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما السلام وهو ابن ثلث
سنين فشهد له انه كلمة الله تعالى وروحه وقيل صدقه وهو في بطن
امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى عليه السلام لامه عند ولادتها
اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادي عيسى عليه السلام ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا وقال عز وجل ففهمناها
سليمان وكلا آتيناه حكما وعلما وقد من حكم سليمان وهو صبي يلعب

المرحومة

المرحومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه عليهما السلام وحكى الطبري
ان عمره كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام
مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا
ابرهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن
عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم عليه السلام
بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه
فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام
في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح
كان وهو ابن سبع سنين وان الاستدلال ابرهيم عليه السلام
بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف
عليه السلام وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب يقول الله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم واخبار
غيرهم وقد حكى بعض اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال في
حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد ثم يتمكن
الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى
يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه
حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد
عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان على حسن السمت والشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها

فلاكتسابه يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها
وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد
اختلف السلف فيها هل هذه الاخلاق جبلة او مكتسبة قال الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن رضي الله تعالى عنهما
وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله تعالى حيث
يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها
ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى **فصل**
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق
الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير
واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم
وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك
ومما يتفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع
كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة
والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى
فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة واشاراته
حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه
في معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله تعالى

صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد
القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه
عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في
تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر
على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة **واما العفو** فهو ترك المؤاخذة
وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه عليه الصلوة والسلام فقال تعالى خذ
العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين **روي** عن عمر رضي الله عنه
انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه
فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الآية لو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال
اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل
عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد ان
الله تعالى يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك وقال له تعالى واصبر على ما اصابك الاية وقال عز وجل فاصبر كما
صبر اولو العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية
وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت
منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم
لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله
عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان
ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت
رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكني
بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون

فيما ما اريد بها وجه الله ثم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث
ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا و
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ
فتركه وعفى عنه وكان ذلك سبب اسلامه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير
الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد
اعترافها على الصحيح من رواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد
اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك
لم يواخذ عبد الله ابن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته
قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه
وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد
غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية
البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي حلما
وكرما صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد
منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الآخر تمر قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب

بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا
امرأة قط وجيء اليه برجل فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لن تراع ولن اردت ذلك لم تسلط علي وجاء زيد بن سعنة قبل
اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ
له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا
الى غير هذا منك احوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي
ثم قال عليه السلام لقد بقي من اجله ثلث وامر عمر رضي الله عنه يقضيه ماله
ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول
ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم الا
اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبرته
بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة
اكثر من ان يأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ
متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاسات قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد
الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال
شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال عليه السلام اقول
كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق

بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولا
طفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله حتى
وقال بابي انت وامي يا رسول الله ما احلمك واوصلك واكرمك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا اللهم صل
وسلم على سيدنا محمد كما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون **فصل**
واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق وجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه
المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق
وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه
وسلم لا يوازى في هذه الخلق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي ثنا القاضي ابو الوليد الباجي
ثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي
وابو اسحق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن
كثير انبانا عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان
في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة وعن
انس رضي الله عنه ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى
بلده وقال اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى
فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت خلقه صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة ابن نوفل

انك تحمل

انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة
آلاف واعطى العباس رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه تسعون
الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ
منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء
قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش
اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال صلى الله عليه وسلم
بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني
ملء كفه حليا وذهبا وقال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم
كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء
ونصفه نائل **فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال
عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما
شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي
الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد
الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو بشار ثنا غندر ثنا شعبة

عن ابي اسحق سمع البراء وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته
على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي عليه السلام يقول انا
النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يوما احد كان اشد منه
وقال غيره نزل النبي عليه السلام عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة
ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اذا اشتد
الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب
الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي
يقرب منه صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد
فزع اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لابي طلحة
عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضي الله
عنه ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب
ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم

فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء
الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا
طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا
من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال
لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني
بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة
تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا
من فعله والاغضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله تعالى
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي
حدثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا
عبدان قال اخبرنا عبد الله قال اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله
مولى انس رضي الله عنه يحدث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا
عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم
اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون

او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رضي الله عنه انه دخل عليه
رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال
صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله
عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا
بالاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن
التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه
كان من حيائه يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته
وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي كرم الله وجهه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان
اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره حدثنا ابو اسحق
الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا
ابو هشام وابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الا
وزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد
بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة
وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب
فابيت فقال اما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب

الدابة احق بمقدمها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان
يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها
او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش
ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه
ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت
رسول الله صلى الله عليه عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن النبي صلى الله
عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد

بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي
جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط
ماداً رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه
وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا
يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء
او قيام **وروي** انه كان صلى الله عليه وسلم لا يجلس اليه احد وهو يصلي
الا خفف صلوته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته
وكان صلى الله عليه وسلم اكثر الناس تبسماً واطيبهم نفساً ما لم ينزل
عليه قرآن او يعظ او يخطب وقال عبد الله بن الحارث رضي الله عنه
ما رايت احداً اكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس
رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها
وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة
والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى
اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه
الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني
بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا
ابو الطاهر ثنا احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن

الحجاج حدثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا يونس عن ابن شهاب رحمه الله
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنيناً فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب
حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني وانه لابغض الخلق
الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي **وروي** ان اعرابياً جاءه
يطلب منه شيئاً فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيئاً ثم قال هل احسنت قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيراً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي
من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك
الله من اهل وعشيرة خيراً فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا
مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه
لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فاني احب ان اخرج
اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته عليه الصلوة والسلام على امته
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم

كقوله عليه السلام لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء
وخبر صلوة الليل ونهيه اياهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا
يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه صلى الله
عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته ومن شفقته عليه السلام
ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة
ورحمة وصلوة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه
قومه اتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من
يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان
جبرئيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء
والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتى لعل الله ان يتوب عليهم
قالت عايشة رضى الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن عايشة
رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها
عليه السلام عليك بالرفق فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم
فى الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضى ابو عامر محمد بن اسمعيل
بقراءتى عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن
النحاس ثنا ابن الاعرابى ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان

ثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن
عبد الله بن ابى الحمساء رضى الله تعالى عنهم قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ببيع قبل
ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلث فجئت فاذا هو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا
منذ ثلث انتظرك وعن انس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتى بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت
تحب خديجة رضى الله عنها وعن عايشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى
خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش
لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان ووصفه صلى الله عليه وسلم بعضهم فقال
كان يصل ذوى رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ال ابى فلان ليسوا لى باولياء غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها
على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابى قتادة رضى الله عنه
قال وفد وفد للنجاشى فقام عليه السلام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافيهم ولما
جئ باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها
رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك ورجعت
الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبى صلى الله
عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه

عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه
ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجلسه بين يديه وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الى ثويبة مولاة
ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها
فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له
صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك تصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

فصل وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا
وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون
نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك
فان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة
واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد
الفقيه رحمه الله تعالى بقراتي عليه بمنزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
ثنا ابو الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود
ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال

لا تقوموا

لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وانما انا عبد آكل كما
يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس
بين اصحابه مختلطا بهم حيث انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي
الله عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسول الله وعن انس رضي الله عنه ان امراة كان في عقلها
شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق
المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان صلى الله
عليه وسلم يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف
قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج
صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة
دراهم وقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد
فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى
كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا
تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث
يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال صلى الله عليه وسلم للذي قال له
يا خير البرية قال ذاك ابراهيم عليه السلام وسيأتي الكلام على هذه

الاحاديث بعد هذا ان شاء الله وعن عائشة والحسن وابى سعيد وغيرهم
رضى الله عنهم فى صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان
فى بيته فى مهنة اهله يفلى ثوبه اى يفتش ثوبه من القمل والبراغيث ونحوهما
ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل
البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
وعن انس رضى الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضى حاجتها ودخل
عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فانى لست
بملك انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن ابى هريرة رضى الله عنه
قال دخلت السوق مع النبى صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال
للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبى صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشىء احق بشيئه
ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق
لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم
لهجة منذ كان من اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين
قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبى
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به
وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية

قبل الاسلام

قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض
حدثنا ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى
بن زوج الحرة ثنا ابو على السنجى ثنا محمد بن محبوب المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ
ثنا ابو كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابى اسحق عن ناجية
ابن كعب عن على رضى الله عنه ان ابا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن
شريق لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك
يسمع كلامنا تخبرنى عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به
قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفى الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة
قط لا يملك رقها وفى حديث على رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم
اصدق الناس لهجة وقال فى الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت
وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضى الله عنها ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان
اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال
يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم

يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ولكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزأ نهاره ثلث اجزاء جزأ لله وجزءاً لاهله وجزأ لنفسه
ثم جزأ جزئه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة
من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احداً بقرف احد ولا
يصدق احداً على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم
ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى
معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت لاول دار من مكة سمعت عزفاً بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني
الا مس الشمس فرجعت ولم اقض شيئاً ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك
ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره وصمته وتؤدته
ومروته وحسن صلى الله عليه وسلم فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة
وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي ثنا ابو ذر الهروي
ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عبد الرحمن
بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد وعن عمر بن
عبد العزيز بن وهب سمعت خارجة بن زيد رضي الله عنه يقول كان
النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من اطرافه

وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله
عليه وسلم محتبياً وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده تبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته صلى الله عليه وسلم
يخطو تكفؤاً ويمشي هوناً كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى
مشى مجتمعاً يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ~~قال كان في كلام رسول الله~~
~~صلى الله عليه وسلم~~ ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنه قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله
عليه وسلم يحدث حديثاً لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم
يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيراً ويحض عليها ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومروته صلى الله
عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر
بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل واما
زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم من الاخبار في اثناء هذه
السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت

اليه بجدا فيرها وترادف عليه فتوجها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان ابن العاص والحسين بن محمد الحافظ
والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود
عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلث ايام تبعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى
من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر
ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عايشة رضي الله عنها ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة
رضي الله عنها ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي
شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي صلى الله عليه
وسلم اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك
واما اليوم الذي اشبع فيه واحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان
جبرئيل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله تعالى
يقرأ لك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار

ومال

ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال جبرئيل ثبتك الله يا محمد
بالقول الثابت وعن عايشة رضي الله عنها قالت ان كنا آل محمد
لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن
عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله
عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن
انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان
ولا سكرجة ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة
رضي الله عنها انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
وعن حفصة رضي الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع
فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
بحاله فان وطاءته منعتني الليلة صلوتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة رضي الله عنها
قالت لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى
الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي
طول ليلة من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه
جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة
مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة ما لي وللدنيا اخواني

من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم **فصل** واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته
فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة
مني عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا
ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسمعيل ثنا
يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب
عن ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في رواية
عن ابي عيسى الترمذي يرفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا
على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لوددت
اني شجرة تعضد **روي** هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد
من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة رضي الله عنه
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى
ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة

وابي

وابي هريرة رضي الله عنهما وقالت عايشة رضي الله عنها كان عمل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم
ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء ان
تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف
بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة
فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه
يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم
قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله
عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال
حتى قرا البقرة وال عمران والنساء والمائدة وعن عايشة رضي الله عنها
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله
بن الشخير قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله في اليوم **وروي** سبعين مرة وعن علي رضي الله
عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله
انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة

حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي وغمي
لأجل أمتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك ان صفات
جميع الانبياء والرسل صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين من كمال الخلق
وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات لانها
صفات الكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اجمعين
اذ رتبتهم اشرف المراتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم
على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم
على علم على العالمين ولقد قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد
على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث
ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب اقنا كانه من رجال شنوءة ورأيت
عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس
وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اشبه ولد ابراهيم وقال في حديث آخر في صفة موسى عليهما السلام
كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه ويروى في ثروة اي في كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا
الا حسن الوجه حسن الصورة وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي
حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في انساب قومها وقال الله تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا

نعم العبد انه اواب وقال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا
وقال الله تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال الله تعالى ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال تعالى في نوح
انه كان عبدا شكورا وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم الآية وقال اني عبد الله آتاني الكتاب الى قوله ما دمت حيا
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال النبي صلى
الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء
الحديث وقال الله تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين الآيات وقال
تعالى ان خير من استأجرت القوي الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم
اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة
وقال تعالى فبشرناه بغلام حليم وعليم وقال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى امين وقال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقال تعالى في اسمعيل عليه السلام انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى
عليه السلام انه كان مخلصا وفي سليمان عليه السلام نعم العبد انه اواب وقال
تعالى واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى
قوله الاخيار وفي داود عليه السلام انه اواب ثم قال تعالى وشددنا
ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وقال تعالى عن يوسف اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم وفي موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال تعالى عن شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وما توفيقي الا بالله وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال تعالى انهم كانوا يسارعون

في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا الآية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي
كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء
من ذلك في الاحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي ابن نبي
ابن نبي ابن نبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك
الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا
لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله
تعالى اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه
وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف
عليه السلام ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فا
نسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج
ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر
في السرد وكان عليه السلام سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت
مال الله وقال صلى الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله صلوة داود
واحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل
ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع

في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله من ان
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم
نام وكان احب الاسماء اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام
لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب
اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله
تعالى حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط وحكى
الطبري عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر
ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدواب تواضعا لله تعالى بما اكرمه
به من كلامه واخبارهم عليهم السلام في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا
نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في بعض كتب جهلة من المؤرخين والمفسرين
مما يخالف هذا فصل قال المؤلف رحمه الله تعالى قد اتينا اكرمك الله تعالى
من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك
صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع
فمجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم
خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح
والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا
ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله
واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله

بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي حسين بن محمد الحافظ
بقرأتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله
بن حسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن
المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا اخبرنا ابو القاسم
علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن سورة الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع
حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة ح قال القاضي ابو علي وقرأت
على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا
ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
بن عبد الله بن الحسين بن علي الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي
حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن
جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ
لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع

واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم
يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق
المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس
انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين
مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين
رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال شائن الاطراف
وسائل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما
ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض
اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه
بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل
السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا
لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان
دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا
تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار
بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى
واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل

حت الفام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني
اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين رضي الله عنه سألت ابي عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله عليه لصلاوة وكسلام لنفسه
ماذونا له فى ذالك فكان اذا اوى منزله جزء دخوله ثلثة اجزاء
جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس
فيرد ذالك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته
صلى الله عليه وسلم فى جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على قدر
فضلهم فى الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج
فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم
بالذى ينبغى لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغونى حاجة من لا
يستطيع ابلاغى حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذالك ولا
يقبل من احد غيره قال فى حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا
يفترقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعنى فقهاء قلت فاخبرنى عن مخرجه
كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم
ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوى عن احد منهم بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسئل الناس
عما فى الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقويه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر
غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم

عنده

عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع
فيه صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا
يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم
جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذالك ويعطى كل جلسائه نصيبه حتى
لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده فى الحق
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفى الرواية الاخرى صاروا عنده
فى الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى
متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب
فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم فى جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلث الرياء
والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا
يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له
حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر
للغريب على الجفوة فى المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا
يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهى
او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان رسول الله فى سكوته

قال كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسنى ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده
الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم من الدنيا والآخرة انتهى وصف نبينا محمد بحمد الله
وعونه **فصل** في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن
الطول في نخافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد
ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون
نيره وقيل ازهر حسن ومنه قوله تعالى زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال
في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله
في الحديث الاخر ابيض مشرب بحمرة اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافي
الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن
اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه
بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين
وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها
وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا والدقيق
المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك اي معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي
ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح
الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح انه كان

بادى الصدر

بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن
والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو
مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد
مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل
الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سائن الاطراف
او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
بها واما على الرواية الاخرى وسائل الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه
كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة واسعها وقيل كنى به عن سعة
العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي
لا تناله الارض من وسطه ولهذا قال ينبو عنهما الماء ومسيح القدمين اي املسهما
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح
عيسى بن مريم عليه السلام اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليها
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل
الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي
ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال
ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر
الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة
على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة

وقيل جعل منه للخاصة ثم بدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون رُوّاداً اي
محتاجين وطالبين ما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة وكنى عن الطعم
المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعاً
معلوماً وقد ورد نهيه عن هذا مفسراً في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا
يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب
الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه
وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم
له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه له صلى الله عليه وسلم منهوس
العقب قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما
خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه عليه السلام
اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة واقربهم
زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً واقتصرنا منها على صحيحها
ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلاً

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه تعالى والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة
ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذناً بلفظه قال اخبرنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا
ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن
اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية ابن ربعي عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين
فجعلني من خيرهم قسماً فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب
اليمين وانا خير من اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرها
ثلثاً وذلك قوله تعالى فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة
وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم
على الله تعالى ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وعن ابي سلمة
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك
النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم
اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة وقريشاً واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلاً افضل
من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل
بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقاً وعن ابن
عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى
الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني

في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح
قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بقوله من قبلها طبت في الظلال
في مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب
الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن
عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال اعطيت خمسا وفي
بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم
ولم تحل لنبي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه
الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع
من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود وقيل السود العرب لان الغالب على الوانهم
الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر
الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جئ بمفاتيح خزاين الارض فوضعت
في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا
بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي واوتيت جوامع الكلم
وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنه بعثت بين
يدي الساعة وفي رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما

واصطفيت

واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى
ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى
به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد
قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخباها
لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه
اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب
واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين
يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنايم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم
يجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله تعالى الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم
القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا صلى الله عليه وسلم
وساير معجزات الانبياء عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر
لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه
كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر سوى هذا اخر باب المعجز
وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله
عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم
وقال صلى الله ان الله قد حبس عن قبلة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين

وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم عليه السلام وبشارة عيسى بن مريم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على
اهل السماء وعلى الانبيا صلوة الله على نبينا وعليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال
ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله
على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية وقال
لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس الآية وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي
نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة
ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى عليه السلام
ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا
منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني
بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده
من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع
اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث
الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك

ثم قال زنه بمائة من امته فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنتهم صح

لو تدري

لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على
الله ان الله معك وملئكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا
عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم
عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي
فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله
الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك
فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه وفي رواية الآجري فقال آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك
فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم
قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابي محمد
وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملئكة سياحين
عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اسري بي الى السماء الدنيا اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا
لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله
عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب
من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح

وستيدامين وذكر السمرقندي انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله
وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه
محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا
نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى نظر الى قلوب
العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل
نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

الفصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم

بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء عليهم
السلام والعروج به عليه السلام الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه
الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من
درجات الرفيعة مما نبه عليه كتاب الله العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الآية وقال الله تعالى والنجم اذا
هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الا
سراء به صلى الله عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح
عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اخبار كثيرة منتشرة رأينا ان
نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الفقيه

وابو بكر بن سماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس
بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
عليهم السلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم
عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر
مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تبارك وتعالى ورفعناه مكانا ثم عرج بنا الى
السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج الى
السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت
المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى السدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى
الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى

فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك
فسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذالك فانى قد بلوت بنى اسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن امتى فحط عنى
خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان امتك لا يطيقون
ذالك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربى تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة
عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة
واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فاساله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربى حتى استحييت منه قال القاضى رحمه الله جود ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد
خلط فيه غيره عن انس رضى الله عنه تخليطا كثيرا لا سيما من رواية
شريك بن ابى نمر رضى الله عنه فقد ذكر فى اوله مجئ الملك له شق
بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبى وقبل الوحى
وقد قال شريك رضى الله عنه فى حديثه وذالك قبل ان يوحى اليه
وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحى وقد قال غير واحد
انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس
رضى الله عنهما من رواية حماد بن سلمة ايضا مجئ جبرائيل الى النبى
عليهما السلام وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشق قلبه تلك القصة
مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود فى القصتين وفى ان الاسراء

الى بيت المقدس

الى البيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت
المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس رضى الله عنه قال كان ابو ذر
رضى الله عنه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتى فنزل جبرائيل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست
من ذهب ملئ حكمة وايمانا فافرغها فى صدرى ثم اطبقه ثم اخذ بيدى
فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة رضى الله عنه الحديث
بمثله عن انس رضى الله عنه عن مالك ابن صعصعة وفيها تقديم وتأخير
وزيادة ونقص وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السماوات وحديث ثابت عن انس
رضى الله عنه اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات
نذكر منها نكتة مفيدة فى غرضنا منها فى حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبى
له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم عليهما السلام
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضى الله عنهما ثم عرج
لى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضى الله
عنه ثم انطلق لى حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادرى ما هى
قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
بكى موسى فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى وفى حديث ابى هريرة
رضى الله عنه وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فحانت الصلوة
فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأنى بالسلام وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ثم سار حتى اتى بيت

المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبرائيل من هذا معك
قال محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل
اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
وذكر كلام واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر
كلام النبي عليه السلام فقال وان محمدا صلى الله عليه
وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا
اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
وكافة للناس وكافة للناس اجمعين بشيرا
ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شيء
وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا
وجعل امتي هم الاولون والاخرون وشرح لي
صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام
بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر انه
عرج به الى السماء الدنيا من سماء الى سماء نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهى الى سدرة
المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج
به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها

فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه ومن طريق الربيع بن انس
فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا
على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشا
ربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها
سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور
وغشيتها الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما
والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
سخرت له الانس والجن والشياطين والرياح واعطيته ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل
وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تبارك وتعالى قد اتخذتك حبيبا
فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس
كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما
وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم اعطي الصلوة الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى الآيتين
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى
موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق
ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد
وقد روي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس وعن انس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا
قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطاير فقعد في واحدة وقعدت
في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت
لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل كانه حلس
لاطي فعرفت فضل علمه بالله تعالى علي وفتح لي باب
السماء ورايت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه
الدر والياقوت ثم اوحى الله تعالى الي ما شاء ان يوحي
وذكر البزار عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد
الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال
لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد
صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن عز وجل فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال
والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا
اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل
هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي
على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد
صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم
آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات
والارض قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون
والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك
من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب
ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قوله جبريل عن الملك
الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي

هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات الشريفة ويدل عليه قول
كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملئكة وعندها
يجدون امر الله تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن
فيحمل على حذف المضاف اى يلي عرش الرحمن او امرا مما من عظيم
اياته او مبادى حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال الله
تعالى لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اى يلي عرش الرحمن او امرا مما من عظيم اياته او مبادى
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال الله تعالى واسئل القرية
اى اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره
انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء الحجاب كما قال
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
اى وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا
صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل فيحتمل انه في غير هذا
الموطن بعد هذا او قبله ورفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله
اعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه
او بجسده على ثلث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح
وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا عليهم السلام حق ووحي
والى هذا ذهب معاوية **وحكى** عن الحسن والمشهور عنه خلافه
واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي
اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عليه السلام بينا انا

وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال
في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
الى انه اسرى بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس
وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن
المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة
وابن جريج رضي الله عنهم وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها
وهو قول الطبري وابن حنبل رحمة الله عليهما وجماعة عظيمة من المسلمين
وهذا قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طايفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار
الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده
الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هاتان
الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وقال
والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله والحق
من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة
كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة اذ لو كان

مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما
استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد فيه ضعفاء من
اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك
منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى
ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية
انس رضي الله عنه او في السماء على ما روى غيره وذكر مجي جبريل
بالبراق وخبر المعراج والاستفتاح السماء فيقال ومن معك
فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم
وشانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي
بعض هذه الاخبار فاخذ بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله
عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني
جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر
ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله عنها ما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء

الاخرة

الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه
بجسمه وان ابي بكر رضي الله عنه رواية شداد بن اوس عنه انه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم
ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم
معه آنية ثلث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة
فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري
ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بالصبية بيدي فعرج
بي وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اتيت
فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري عن ابي هريرة رضي الله
عنه صلى الله عليه وسلم لقد رايتني عن [illegible] في الحجر وقريش تسئلني
عن مسراي وسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله
قط فرفعه الله الي انظر اليه ونحو جابر رضي الله عنه وقد روي
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها
فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي
اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله تعالى فتنة للناس

يؤيدا نهارًا وبأعين واسرآء بشخص انه ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة
في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله
في حديث الاخرين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله
ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه
كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث
انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا بالمسجد
الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظ من نوم اخر
بعد وصوله بيته صلى الله عليه وسلم ويدل عليه ان مسراه
لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله واستيقظت
وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما رأى من آيات
ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام
ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى
لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبياء عليهم السلام
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله
تعالى ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء عليهم السلام ولعله
كانت له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة

النائم من الاضطجاع وتقويه قوله في رواية عبد بن حميد
عن همام رضي الله عنه بينا انا نائم وربما قال مضطجع وقوله
وفي رواية هدبة عنه بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر
مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون
سماها هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس
رضي الله عنه فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث
الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه
قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس رضي الله عنه مع ان
انسا قد بين من طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة
وفي كتاب مسلم لعله عن مالك صعصعة على الشك وقال
مرة كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث واما قول عائشة
رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن
مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان
فان الاسراء كان اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه
بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها
في الهجرة بنت ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة

بطن

قيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه بخمس والحجة لذلك تطول ليست
من غرضنا فاذا لم تشاهد ذالك عايشة رضي الله عنها
دل انها حدثت بذالك عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها
وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث ام هاني وغيرها
وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت
لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة رضي الله
عنها وايضا فقد روي في حديث عايشة رضي الله عنها
ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده
لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها
مناما لم تنكره فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد
ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم
ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق
رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه صلى الله عليه وسلم

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل
وعلى فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة رضي الله
عنها حدثنا ابو الحسن سراج بن عبد الملك الحافظ بقراتي عليه
قال حدثني القاضي ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه
قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت

بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا
محمود بن ادم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق رضي الله
عنه انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل راى
محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو المشهور
عن ابن مسعود رضي الله عنه ومثله عن ابي هريرة رضي الله
عنه انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا
وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه راه بعينيه وروي
عطا عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس رضي الله
عنهما يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه
انه راى ربه بعينه وروي ذلك عنه من طرق وقال
ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا
صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي
قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد
عليهما السلام فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح
الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب رضي الله عنه

وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب رضي الله
عنهما فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد
رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله
قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى
ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر رضي الله عنه
في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى
السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي
ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث وحكى عبد الرزاق
ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه عز وجل وحكى ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى
بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله
وحكى ابن اسحق ان مروان سأل ابا هريرة
رضي الله عنه هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش
عن احمد بن حنبل رحمه الله انه قال انا اقول بحديث
ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن
جبير لا اقول رآه ولم يره وقد اختلف في تأويل الآية

عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس
وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى
عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطا
في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسماعيل
الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله
تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء
عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص
من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس
عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا
سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله
وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه
ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال
له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثالا
مما هو اقوى من بنية موسى عليه السلام واثبت وهو الجبل وكل
هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة
وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى
لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول

من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على
جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الابصار
الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد
قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات
لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا احتجاجهم بقوله لن تراني
الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه
نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تطرق
التأويلات وتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله
تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله
تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي
مات وقد رايت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى
في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا
للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا
تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال
لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا
ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الالهية منحاها لادراك

ما ادركناه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر
في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام
رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا
بادراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل
هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى عليه السلام رآه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية
محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مرية في الجواز اذ ليس في الآيات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا
صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا
ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والا
حتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك وحديث ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن
اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد
مضمنه ومثله حديث ابي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية وحديث معاذ
رضي الله عنه محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث
ابي ذر رضي الله عنه الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور اني اراه
وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الآخر

سالته فقال رأيت نوراً وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على
صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نوراً فهو قد اخبر انه لم ير الله
سبحانه وانما رأى نوراً منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى
هذا يرجع قوله نوراني اراه اى كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر
لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله
تعالى قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله موفق للصواب
واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى
وكلامه معه تعالى بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله تعالى الى جبريل وجبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم الا شذوذاً منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى
هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمداً صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء
وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره
آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام
في قوله تعالى دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني
فسمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد
ادن ادن وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسراء نحو منه وقد احتجوا
في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب

او يرسل

او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء
حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء عليهم
السلام واكثر احوال نبينا عليهم السلام الثالث قوله تعالى
وحياً ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسراء ما هو
اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام
في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشتبه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه
من الانبياء جائز غير ممتنع عقلاً ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام
كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة على
الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمداً فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام
فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص
من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل

واما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله
تعالى دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو
والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما

من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى من ربه تعالى وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى مكي والماوردي عن
ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه
فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال ابن عباس رضي الله
عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه تعالى قال عليه السلام فارقني
جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي عز وجل وعن أنس
رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى
إليه خمسين صلوة وذكر الحديث وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد
من ربه فكان كقاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه تعالى منه حتى
كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال أيضاً انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة
والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب
قال القاضي أبو الفضل المصنف رحمه الله اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو
والقرب هنا من الله تعالى أو إلى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى
بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف

رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول
في قوله ينزل ربنا إلى السماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال
وقبول وإحسان قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما
دنا بنفسه من الحق تدلى بعداً يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق
ولا بعد وقوله قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائداً إلى
الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف
المحل واتضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله
عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار
التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى فيه ويتأول فيه ما يتأول
في قوله من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن أتاني يمشي
أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل
المأمول فصل في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا
القاضي أبو علي ثنا أبو الفضل وأبو الحسين قالا ثنا أبو يعلى ثنا
السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي
ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجاً
إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد
بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع
عن أنس في لفظ هذا الحديث أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا
قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا

وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربه
ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي
هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على
يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي
سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من
نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول
شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء
الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس
رضي الله عنه انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس
تبعا وعن انس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انا
سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام
قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث
اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى عليهما السلام فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى

وان عيسى

وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجاء
الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه
في حوائجهم وكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد
في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجاء الى محمد صلى الله عليه
عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون
دعوى وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد
فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه
ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب
منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين
عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان رضي الله عنه مثله
وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة ابن وهب
رضي الله عنه كما بين المدينة وصنعاء وقال انس رضي الله ايلة وصنعاء
وقال ابن عمر رضي الله عنه كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض
ايضا انس رضي الله عنه وجابر ابن سمرة وابن عمرو وعقبة بن عامر
وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن

اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل
بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو
سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب
وعايشة اسما بنتا ابو بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله
عنهم **فصل** في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله تعالى اخبرنا
ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد ثنا ابو الهيثم
وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي ابو الوليد ثنا عبد بن
احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث
اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا وعن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله تعالى قد اتخذ ابرهيم من خلقه خليلا وقال
آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله تعالى
وروحه وقال اخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة

ففتح الله

ففتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب
الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المختص المنقطع الى الله تعالى الذي ليس في انقطاعه
اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير
واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم عليه السلام
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله
اماما لمن بعده وقيل الخليل الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابرهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق
ليرمى به في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن
فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب
للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من البنوة لان
البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم
ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط

والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي لطافة عندهما او ما
خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون غيوبه ومعرفته والاستصفا
لهما وانه الاستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم تخالهما حب لغيره ولهذا
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب
القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون
الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم عليه السلام بالخلة
ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة
وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة
الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام واصل
المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته
لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا
سوى التجرد لله تعالى والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن غير الله تعالى
وصفاء القلب لله تعالى واخلاص الحركات لله تعالى كما قالت عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة
بقوله قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت

حديثي

حديثي واذا ما سكت كنت الغليل فاذا من مزية الخلة وخصوصية
المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار
الصحيحة المنتشرة المتلقات بالقبول من الائمة وكفى بقوله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية حكى اهل التفسير
ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول فزاده صلى الله عليه وسلم
شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي
عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل
الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة
على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل
يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب
قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله
تعالى والذي اطمع ان يغفر لي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك الاية والخليل قال ولا تخزني
والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل
قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال
والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه
تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على

شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله بالشفاعة
العظمى والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
حدثنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج
بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال اسمعيل بن ابان
ثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت بن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى
تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك يوم يبعثه
الله المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال
هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن
لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر رضي الله
عنه وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن
مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه الحديث
وعن ابن موسى رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام خيرت ان يدخل

نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها
للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين وعن ابي هريرة رضي الله
عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن
شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي
الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم
فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة رضي الله
عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد عليه السلام فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك
لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك
المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل
الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة
ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون ادم وغيره بعده
في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه ايضا ومجاهد رحمه الله وذكره
علي بن حسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد
المحمود الذي يخرج الله تعالى به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين وعن انس رضي الله عنه نحوه وقال فهو المقام المحمود الذي وعده وعن
سلمان ان المقام المحمود الذي هو الشفاعة في امته يوم القيمة وقال قتادة رضي الله

عنه كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى
ان المقام المحمود هو مقامه عليه الصلوة والسلام للشفاعة
مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين
وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه عليه السلام
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا
يثبت اذ لم ينهض بها صحيح اثر ولا سديد نظر ولو صحت لكان
لها وجه غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم
في صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يأت
في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاقه
ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة
وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام
يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا وفي طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض
وعن ابي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
فيأتون ادم زاد بعضهم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسكنك الجنة واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شيء
اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن

فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وفي رواية انس رضي الله
عنه ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه عز وجل بغير علم وفي رواية
ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فيأتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله
وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن
نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد
اتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها
ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه
روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فانه
عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق
فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت
العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد
لا اقدر عليها الان الا ان يلهمنيها الله تعالى وفي رواية فيفتح الله
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي
رواية ابي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع
تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب فيقول ادخل من امتك من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس رضي الله عنه هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل تسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول

يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعيرة من
ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع
وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال
ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه رضي الله عنه
قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد
وحذيفة مثله قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتأتي الامانة
والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله
عنه فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع ويضرب الصراط فيمرون
اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم
على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا
الحديث وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاكون اول من يجيز
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء
منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي عز
وجل منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخلها
بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن

النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قال انا اول من تنشق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد
يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار سبحانه وتعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم وعن رواية انس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من شجر وحجر فقد
اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود
من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء
في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع
في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم
فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم
القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة
دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو
صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها

في امته فاستجيب له وانا اريد ان اخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية
اني صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي
ذرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة رضي الله
عنه فيكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمون لها الاجابة والا
فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سئل لامته اشياء من امور الدين
والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة
المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزا نبيا عن امته وصلى الله
عليه وسلم كثيرا **فصل** في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائتي عليهما قالا وحدثنا ابو علي الغساني
ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن
سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن
عبد الله جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فانها
منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال
الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة الوسيلة
اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال عليه السلام ثم ضرب بيده
الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله

ورضي الله عنهم مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج وفي رواية عنه عليه السلام فاذا هو يجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن انس وعن ابن عباس
رضي الله عنهم ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله تعالى اياه وقال سعيد بن
جبير رضي الله عنه النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله تعالى وعن حذيفة
رضي الله عنه فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى واعطاني الكوثر نهر في الجنة
يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية
اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل
القرأن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر
وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم
عن التفضيل كقوله فيما حدثنا الاسدي قال حدثنا السمرقندي ثنا الفارسي
ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة
عن قتادة رضي الله عنه سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله
عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى
على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال له تقول ذلك ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا
بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول

ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قال انا
خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله لا يقولن احدكم انا
خير من يونس ابن متى وفي حديث الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك
ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تأويلات احدها ان نهيه عليه السلام
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من
فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله عليه السلام لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي
تفضيله هو انما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا
يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد
اذ هي شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخر زائدة عليها وكذلك منهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع
مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم
الله تعالى ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية
وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية وقال بعض اهل العلم والتفضيل المراد
لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون
امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله

به من كراماته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله
من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس تفسخ منها
تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام
من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط
من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته
وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى
القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة
ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله تعالى عنه فان درجة النبوة
افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا
ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان
لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق
وهو المستعان **فصل** في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما
تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن تليد الفقيه قال حدثنا
ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضي
الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا
واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه فطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم

اجل من حُمِد وافضل من حَمِد واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد
ويبعثه ربه هنالك مقاماً محموداً كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم
ما لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه عليهم السلام بالحمادين فحقيق
ان يسمى محمداً واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن
اخر هو ان الله تعالى حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي
اتى في الكتب وبشرت به الانبياء عليهم السلام فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى
احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك
وكذلك محمد ايضاً لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب
ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته
وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن
براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي
السلمي لا سابع لهم ويقال ان اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد
بن يحمد من الازد ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها
له احد او يظهر عليه سبب يشكك احداً في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله
عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين
كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله عليه السلام

وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ويروى على عقبي اي على زماني وعهدي
اي ليس بعدي نبي كما قال الله تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقباً لانه عليه السلام
عقب غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقيل
معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وقيل على قدمي اي قدامي وحولي
اي يجتمعون الي في القيمة وقيل قدمي سنتي ومعنى قوله عليه السلام
لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم
السالفة والله اعلم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة
اسماء فذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي
عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة
التي في الحديث الاول وقال انا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه
وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير
وقد وقع ايضاً في كتب الانبياء عليهم السلام قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم وروى
النقاش عنه صلى الله عليه وسلم لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس
والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله
عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء
الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب وفي حديث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه

هى ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح وقيل المتبع للنبيين
واما نبى الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وكما وصفه تعالى بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقال عليه السلام
فى صفة امته انها امة مرحومة وقال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضا فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى
رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم
وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم
واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة فاشار الى
ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة وروى حذيفة رضى الله عنه
مثل ابى موسى رضى الله عنه وفيه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم
وروى الحربى فى حديثه انه صلى الله عليه وسلم قال اتانى ملك فقال انت
قثم اى مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته صلى الله عليه
وسلم معلوم وقيل هو مشتق من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء
يقثم اذا اعطاه وكان عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وقد جاءت
من القابه عليه السلام وسماته فى القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور
والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة
للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبى الامى وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها

فى

فى كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته صلى الله عليه وسلم بالمصطفى والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول رب
العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق
والهادى والسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء
والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة
والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب
المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البار
قليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه عليه
السلام فى الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا اى حامى الحرم
والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذى ختم به الانبياء
والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا
واسمه عليه السلام ايضا فى التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين
ومعنى صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى
كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الآن عند الخلفاء واما الهراوة التى
وصف بها فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض
اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ
الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه قال القاضى رحمه الله
وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت

كنيته المشهورة ابا القاسم وروى عن انس رضي الله عنه انه لما ولد له
ابراهيم جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم **فصل**
في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العليا
قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه
في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية
الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض
في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى
خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسماعيل
بعليم وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور ويحيى وعيسى ببر وموسى بكريم
وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما
نطق بذلك الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم وفضل نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو
ثلثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة
بابانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود
لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال
الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار
نحو هذا حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم ~~ومن اسمائه تعالى~~ وهما بمعنى متقارب وسماه

في كتابه

في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته
بان وابان بمعنى واحد ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق
من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن
ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بالمعنى الاول والمبين البين
امره ورسالته والمبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل
اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او هو منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن
وقال فيه سراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن
اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه صلى الله عليه وسلم شهيدا وشاهدا فقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول
ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل
العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى صلى الله
عليه وسلم كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه
عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه جليل الشان الذي كل شيء دونه

وقال في النبي عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر
من التوراة عن اسمعيل وسنلده عظيما لامة عظيمة فهو صلى الله عليه
وسلم عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل
القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبي عليه السلام في كتاب
داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه
الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفي عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا يليق به فقال تعالى وما انت
عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن
العلا المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي عليه السلام والمسئول هو الله
تعالى فالنبي عليه السلام خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية
من العلم بما اعلمه الله تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن
له في اعلامهم به صلى الله عليه ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين
عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح
قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر [illegible]
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية ربيع بن انس عن ابي العالية وغيره
عن ابي هريرة رضي الله عنهم وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه

صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه وفوتي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله تعالى
للحق او المبتدى بهداية الامة او المبتدى المقدم في الانبياء والخاتم
واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثني على عباده المطيعين ووصف بذلك نبيه
نوحا عليه السلام فقال تعالى انه كان عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك بقوله عز وجل ولئن
شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر
وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفي تفسير
بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية
فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ومنه قوله عليه السلام نحن الاخرون السابقون وقوله عليه
السلام انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع
واول مشفع وهو خاتم الانبياء واخر الرسل ومن اسمائه تعالى القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة
عند ذي العرش مكين قيل محمد عليه السلام وقيل جبرائيل عليه السلام وذي

ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه
السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى المولى والولي ومعناها
الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله
عليه وسلم انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن
اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو
وأمر بالعرف وقال الله وقال الله تعالى واعف عنهم واصفح وقال له
جبرئيل عليه السلام وقد ساله عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن
ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته صلى الله
عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي
وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء
قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول وقال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن
الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى
المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده
عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد
نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه
وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم

في الدعاء

في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف
بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس رضي الله عنه في شعره
مهيمنا في قوله ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل
المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال الله تعالى
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم انا
امنة لاصحابي واصحابي امنة لامتي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه من النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع
في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال الله تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز
لغيره وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر
فقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة وقال تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى ويبشرك بكلمة منه
وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر
بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وقال النضر رحمه الله

وها انا اذكر نكتة ازيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح
الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مراقي
التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه
في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه
شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وانما جا مما اطلقه الشرع على الخالق
وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذالك صفاته عز
وجل لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاغراض وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذالك بل لم يزل بصفاته
واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شي ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا
وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل
ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات
القديمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات
المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة
رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله
قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل
التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع
نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر

وفعل الخلق

وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخرون من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم قال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو
موحد وما احسن قول ذو النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج
وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله
بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله تعالى
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث كقوله تعالى انما قولنا لشي
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله تعالى واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله
ورحمته لا رب غيره ولا اله سواه الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى
على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي رحمه
الله عليه حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكري نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته عليه السلام فنحتاج الى
نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها
ونذكر شروط المعجزة والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون
تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم
قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع



او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل متامل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله
وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر
في صحة نبوته وصدق دعوته صلى الله عليه وسلم وقد كفى هذا غير واحد
في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان
وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي قال حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي
علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي
جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن
ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته
فلما رايته قلت هذا نبي الله تعالى وروى مسلم وغيره ان ضمادا رضي الله عنه
لما وفد عليه وقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد
علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال
جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل

من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر
وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى
والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به
ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا
يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا مثل ضربه الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم
يتل قرانا كما قال ابن رواحة رحمه الله لو لم تكن فيه ايات مبينة لكانت
منظره ينبئك بالخبر وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده
في معجزات القرآن وما فيه من برهان ودلالة

فصل

اعلم ان الله
جل وعلا قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه
وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته
في بعض الانبياء وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا وجائز ان يصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من
جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا
ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع
ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله

قال الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقول
وهذا كما ترى والتطويل خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في اللغة من همز ماخوذة من
النبأ وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله
تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبئا فعيل بمعنى
مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله تعالى
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض
معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان
في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى
مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه
من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكأنه
الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي
والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام
واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت
لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا
نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الرسالة التي للرسل وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم
من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما
في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل
الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت

به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم
الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم عليه السلام
وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر ر عنه عليه السلام ان
الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة
وثلاثة عشر اولهم آدم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصفا ذاتيا خلافا للكرامية في تطويل
لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
عليه السلام يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات
وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه
قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم
ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء
عليهم السلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين
ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله تعالى
دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل
القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام

شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد
الا الله فيكون ذالك على يدي النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه
من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو
اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف
ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه
فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما نفصله فيما
انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم
منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته
وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم
في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع
ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا
كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه عليه الصلوة والسلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد
منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا
يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وان ذلك
بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم

ضرورة

ضرورة لاتفاق معانيها كما نعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم
احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة
هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا نقطع بصحته والقسم
الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر
منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد
والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله
اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه
واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين
ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير
الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث
بها من جملة الصحابة رضي الله عنهم واخبارهم ان ذلك كان في موطن
اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة
تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة

في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكراً
عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رووها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضاً ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضاً
فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الزمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما نشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور
الزمان الا ظهوراً ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولاً ولا للطاعن
عليها الا حسرة وغليلاً وكذلك اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب
وانباؤه بما كان ويكون معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهما
الله تعالى وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب الخبر
الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه
القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند
واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة
وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها
فضلاً من وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر
النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام وجواز

النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي رحمه الله يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل
بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم
لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلاً عمن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات
نزيد الكلام فيها بياناً ان شاء الله تعالى **فصل** في اعجاز القرآن
اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة اوجه اولها حسن تاليفه والتيام
كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم
كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم بما
لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى ذلك لهم طبعاً وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهاً
في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر
الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون الالباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة
والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا

البابين فلهم في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم
قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا
صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين
وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته
ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه
وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واظهر في الخطابة رجالا
واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين
ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ اجمعين ام يقولون افتراه
قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الاية وقال فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب
كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ

ويسفه

ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم
ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته
محجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء
بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد
قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة لعنه الله تعالى كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى
ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط
فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين
من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر
وذكر ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر الاية
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه
خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على
رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام
العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتأملها
فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه
سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله تعالى ما افصحك فقالت او بعد هذا
فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية
فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع
من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء الآية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه واشباهها
من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من اعجاز الفاظها وكثرة
معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاوم كلمها
وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم
هو في سرد القصص الطوال والاخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتامله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على
طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها

حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا نفور للنفوس من ترداد ها ولا معاداة لمعادها الوجه الثاني
من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت فيه عقولهم وذهلت وتدلهت وتولهت دونه
احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرئ عليه
القرآن رق فجاءه ابو جهل لعنه الله منكرا عليه قال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه
رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن
ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا
وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر
قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين
من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه
سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى
في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآية وقال عتبة بن ربيعة حين
سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته

والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا
بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه
ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثنا
عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على
اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من
النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد
منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل
واحد منها خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا
ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الا
عجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الا
سماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه اد
ب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه
عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه
وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور
البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن القابسي الى انه مما يكون
ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا

ولا

ولا يكون فمنعهم الله تعالى هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى
الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون
في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع
دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل
بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن
لهم قدرة على الكلام وقدوة بالمعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة
من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة
العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان
من اعجازه الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات
وما لم يكن فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء
نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المومنين في الارض ومكن
فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت

زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على
اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الاية وقوله تعالى لن يضروكم
الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف
اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك
كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الاية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله تعالى في الدين وقد قال مبديا ما قدروا الله حق قدره الله تعالى واعتقده
المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما
نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك بان الله كفاه اياهم
وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى
والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة كثيرة صحيحة الرابع ما انبا به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته
وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم
امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم
ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألون
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه
ذكرا كقصص الانبياء عليهم السلام مع قومهم وخبر موسى والخضر عليهما
السلام ويوسف واخوته عليه السلام واصحاب الكهف وذي القرنين
ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل
والزبور وصحف ابراهيم وموسى صلى الله عليهما وسلم مما صدقه فيه العلماء بها
ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق
له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى
واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه عليه السلام وطول احتجاجه
عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم
له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن
الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه
وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم
وقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده
وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابن اخطب وغيرهم ومن باهت في

ذلك

بعض المباهلة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف
بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه بيده ولم يؤثر ان واحدا
منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا اتى صحيحا والحقيما من صحف
قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين هذه الوجوه الاربعة من اعجازه
بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما
فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم
حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم
انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه
مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله
صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم
وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك
معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا توجد
منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه
ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية
المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى

[illegible]

اليه

اليه المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا
قط فبقي كبيرهم وصغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم الله تعالى انهم لا يفعلون وكان
كما قال وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب لكن فيها من التعجيز ما في التي
قبلها ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة
التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم
حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا
وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القران
على جبل الاية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه
ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم
بكيت قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده
فمنهم من اسلم لها اول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن
مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور
فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون
كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن
ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم
فصلت الى قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي



صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى
الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه
ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله
لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول
له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف
بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ
وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال
بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو
على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني
على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه
الآية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء
عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز
الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام
وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع
عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند صحيح

بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه
فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه
وجوها كثيرة **منها** ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب
على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى
اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره
ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ
به الاهواء ولا تلتبس به السنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان
قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به **منها** جمعه لعلوم
ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم قل يحييها الذي انشأها اول
مرة لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء
الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم

قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء نزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شيء لقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل   عليه
الصلوة والسلام ان الله انزل هذا القرآن امرا وزاجرا وسنة خالية
ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم
لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به
صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط
ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب
الهدى من غيره اضله الله تعالى ومن حكم بغيره قصمه الله تعالى هو الذكر الحكيم
والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد   عن ابن مسعود
رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين
والآخرين   قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل
عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا
فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب   كعب رضي الله عنه
عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال الله تعالى هذا بيان
للناس وهدى الآية   فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات منها جمعه فيه بين
الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه
وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم

موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة   منها ان جعله
في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل
على النفوس واوعى للقلوب واسمع في الآذان واحلى على الافهام فالناس
اليه اميل والاهواء اليه اسرع   منها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على
مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة   منها
مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف
معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد
ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى
غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا
اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت
الفاظه   اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله
عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملأهم على الكفر وما
ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله تعالى لهم ووعيد
هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص
الانبياء عليهم السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام   الجملة الكثيرة التي

انطون عليها الكلمات القليلة التي وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز
القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب
بلاغته فلا يجب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون
البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله
لا في اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها
وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق
وهو المستعان

في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن آياته واجمع
المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ
من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله نا الاصيلي نا المروزي نا الفربري
نا البخاري نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم
عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد رضي الله عنه ونحن مع
النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن
ابن مسعود رضي الله عنه الاسود وقال حتى وقال حتى رأيت الجبل بين
فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد وقال كفار قريش سحركم
ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القوم فانه لا يبلغ من
سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا
فأتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك

نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا
ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة رضي الله عنهما
فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
رضي الله عنهم فقال علي كرم الله وجهه من رواية ابي حذيفة الا
رحبي انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم
آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن
انس قتادة رضي الله عنهما وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه
اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه
عن جبير بن مطعم ابنه محمد رضي الله عنهم ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد رضي الله عنهم ورواه
عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
رضي الله عنهم واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة
ولا نلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل
الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم
رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد
لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابلهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه

سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي
بعضها كلية وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
بعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدو والسكون واجاف الابواب وقطع التصرف
ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل
به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثر لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما تحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها
وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس رضي الله
عنها من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه
في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس شرقها
قالت اسماء رضي الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد
ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر
وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات الطحاوي ان احمد بن صالح
كان يقول لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء
رضي الله عنها لانه من علامات النبوة يونس بن بكير في زيادة المغازي
في روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان

ذلك اليوم

ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه
الشمس **فصل** في نبع الماء بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى
الله عليه وسلم **قال** المصنف رحمه الله اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا ابو اسحق ابرهيم
بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا ابو القاسم حاتم بن
محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحق بن عبد الله
بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده
وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله
عليه وسلم فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة رضي الله عنهما وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا
يكاد يغمر قال كم كنتم قال كنا زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس رضي الله عنهم
وفي رواية لحميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا
وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه
من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين

اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن
جابر رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا
ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا
مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر
رضي الله عنهما وفيه انه كان في الحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن
الصامت عنه وفي حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا
قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري
ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله
قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى
امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له
حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن
الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا
يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها
في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب
عن عمران بن حصين رضي الله عنه ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء

قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد
من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته عليه السلام
فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة
تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ
جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية
وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها
فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق
فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي
قتادة رضي الله عنه وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم
التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا
كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين

رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة رضي الله
عنه على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل
موتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي
صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث
الميضاة والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة
رضي الله عنه احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه وروى
مثله عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران رضي الله عنه ويخيل الي انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال
اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله
وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله عليه
وسلم هل من وضوء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه
في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فيشربه فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم
في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا
ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه

ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت
وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج
الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء
وما جانسه **فصل** ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير
الطعام القليل ببركته ودعائه القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج سلمة بن شبيب
الحسن بن اعين معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل
منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال
له لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور
واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء بها انس رضي الله عنه تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت
وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه
صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال
جابر رضي الله عنه فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا
لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا وايمن ثابت رضي
الله عنه مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل
الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول
ما شاء الله فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم
معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب

رضي الله عنه انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله
عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين
من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوه حتى تركوه وما خرج
منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب رضي الله عنه فاكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا   سمرة بن جندب رضي الله عنه اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى
الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر
رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
رضي الله عنه عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة
رضي الله عنه وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الا
زواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى
بالصاع من تمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم
دعا الناس باوعيتهم فما بقي من الجيش وعاء الا ملوه وبقي منه
قدر ما جعل اولا ولو ورده اهل الارض لكفاهم   ابو هريرة
رضي الله عنه قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له
اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا

وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم
ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما
هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه وقال انس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل
من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا
فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية
اخرى هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء عن ثلاث مائة وانهم
اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام
حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله
عنه ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا
رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت
منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلي رضي الله
عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها
ما شاء الله تعالى وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع
قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض
من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير
ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة
راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر رضي الله عنه في دين ابيه بعد موته

وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين
كفاف دينهم فخاره النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
بادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر رضي الله عنه غرماء
ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقالوا ابو هريرة رضي الله
عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده صلى
الله عليه وسلم فاخرج قبضة وبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما
جئت به وادخل يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به
فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر رضي الله عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة
تمرة ومنه ايضا حديث ابو هريرة رضي الله عنه حين اصابه
الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح
قد اهدي اليه وامره ان يدعوا اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن
فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر
امر النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا
والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى

وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى رضي الله عنه انه اجزر النبي
صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما
عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكره حبوه الدولابي
ومن حديث الاجري في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح
جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة
يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه
وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن
لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة
حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة
ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول
فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
واحاديث فضل هذه الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر
من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها
في قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر
لها على ما انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله
عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن
ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي قال حدثنا احمد بن عمران الاخنسي قال حدثنا

ابو حبان التيمي وكان صدوقا وعن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال عليه الصلوة والسلام
يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد على
ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال
فدعاها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه عليه الصلوة والسلام
فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة رضي
الله عنه سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض مغبرة حتى وقفت بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال
الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت
المرأة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له
وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل رضي الله عنهما ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا
بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل
بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله
فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول

الله الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا
يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رضي الله عنهما نحوه قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مغازيه هل يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن
حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته عليه الصلوة
والسلام قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى
عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية
اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه في الشجرتين وعن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثلا في غزاة حنين وعن يعلى ابن مرة وهو ابن سيابة
ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذنت النبي صلى الله
عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث
ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى وسيرة فهذا ابن عمر وبريدة

وجابر وابن مسعود ويعلى مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها
من القوة حيث هي وذكر ابن فورك رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف
ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت
على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس
رضي الله عنه ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك
اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي
فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ثم قال مرها فلترجع
فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل عليه
السلام قال اللهم ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي
صلى الله عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين
يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم شكا
الى ربه تعالى من قومه وانهم يخوفونه وساله اية يعلم بها الا مخافة عليه فاوحى
الله تعالى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط
الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي الله عنه وقال
فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه
النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع

فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح **فصل** في قصة
حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور
منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة رضي الله عنهم
بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله
بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس رضي الله عنه صحيح قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان المسجد
مسقوفا على جذوع النخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم
الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي
رواية انس رضي الله عنه حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه
وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي سهل رضي الله عنهما
حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد
غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره
والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت
المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد عن اسحق عن انس رضي الله عنه وفي
بعض الروايات عن سهل رضي الله عنه فدفن تحت منبره او جعل في السقف
وفي حديث ابي رضي الله عنه فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد
رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض
فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم

ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله
من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرس
ني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من
يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء
على دار الفناء فكان الحسن رضي الله عنه اذا حدث بهذا بكى وقال يا
عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه
لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه عن جابر بن حفص
بن عبد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن
وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو
نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم
وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله
بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن دونهم
هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب ومثل هذا
في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي قال حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن المرابط قال حدثنا المهلب ابو القاسم قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا
المروزي قال حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابو احمد الزبيري
قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لقد كنا نسمع تسبيح

الطعام

الطعام وهو يؤكل وفي هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله
عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم
صبهن في يد ابي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما وقال
علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه كنا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فخرج الى
بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن
سمرة رضي الله عنه عليه الصلوة والسلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان ابعث وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال عليه الصلوة والسلام
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه اذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن
جعفر بن محمد عن ابيه رحمهما الله مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس رضي الله عنه
صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف
بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة
رضي الله عنه في حراء وزاد ومعه علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم وقال
فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان رضي الله عنه
قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا رضي الله عنهما قال ونسيت
الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه

وقد روى انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان
يقتلوك على ظهري فهتف به حراء الي يا رسول الله وروى
ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله
حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت ستون
وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار الى وجه صنم الا وقع
لقفاه ولا قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود رضي
الله عنه قال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله تعالى رحمة للعالمين فقال له اشياخ
من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا
لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا
من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس عليه الصلوة والسلام مال
الفيء اليه **فصل** في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك
ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي قال حدثنا القاضي يونس قال حدثنا ابو الفضل
الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء
احمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو قال حدثنا مجاهد
عن عايشة رضي الله عنها وعنهم قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله

وشبه جبل بمكة

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب فاذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروى عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال
من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن
هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء
عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض
الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب فقال للراعي الا تتقي
الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال
الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس
بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم للراعي قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروى حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة
فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط
اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه
ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي
من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى

ابن وهب ... بن جليس ... مغزينا ... ابن مصعب ... عن الاوزاعي ... الصلاة ...

نفع

ابن سبع

راعي

وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجد كذلك
ونجح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث
بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب القصة ايضا
وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد رضي الله عنهم وقد روى ابن وهب مثل
هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب فدخل الظبي الحرم
فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة
لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس
بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو
على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال
احصب وجوهها فان الله عز وجل سيؤدي عنك امانتك وردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حائطا للانصار وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفي
الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه نحن احق بالسجود لك منها
الحديث وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء
بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن
مرة وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد

عليه

عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه
فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله
عن عبد الله بن ابي اوفى رضي وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم
عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه
كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعرفها
له بنفسها ومبادرة العشب اليها في المرعى وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها
لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب
ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن
انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين
فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابها فلما اتى الطالبون ورأوا
ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع
كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايهن يبدأ وعن ام سلمة
رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال
ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب
فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب
ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى

معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى
عنه ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ صلى الله
عليه وسلم باذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار
لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد
بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب
براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا
فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها
وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء اربعمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها
هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه الصلوة والسلام وقد قام الى الصلوة في بعض
اسفاره لا تبرح مكانك بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته فما
حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ويروى انه وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد
فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة عليهم الرحمة والتسليم
فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة
حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد

ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي
الحافظ قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا
احمد بن سعيد قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا وهب بن
بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء رضي الله عنه وقال عليه الصلوة والسلام
لليهودية ما حملك على ما صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث انس رضي الله عنه وفيه قالت اردت قتلك فقال عليه
الصلوة والسلام ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال عليه الصلوة
والسلام لا وكذلك روي عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب
قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع
قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن رحمه الله ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي
سلمة بن عبد الرحمن قالت اني مسمومة قال ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق
وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخرى عن انس رضي الله عنه انه قال فما زلت
اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابو هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة
خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق رحمه الله انه كان المسلمون
ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله تعالى به من
النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله



عنهما انه صلى الله عليه وسلم دفعها الاوليآء بشر بن البرآء فقتلوها وكذالك قد
اختلف في قتله لليهودي الذي سحره قال الواقدي رح وعفوه عليه الصلوة والسلام عنه
اثبت عندنا وروى انه قتله وروى الحديث البزار رحمه الله عن ابي سعيد رضي الله عنه فذكر
مثله الا انه قال في اخره فبسط ايديهم وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله تعالى فلم تضر احدا
منا قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح
وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام
يخلقه الله سبحانه تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله تعالى
فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن
والقاضي ابو بكر رحمهما الله تعالى واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم الكلام
بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها
فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد
كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود
الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بالحروف والاصوات والتزم ذالك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله
تعالى خلق فيها حيوة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام
وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل
احد من اهل السير والرواية شيئا من ذالك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة
اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى عن معرض بن معيقيب رضي الله عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم

عجبا

عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان
الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع وعن الحسن رحمه الله ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق عليه الصلوة والسلام معه الى الوادي وناداها
باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال
لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي فيهما
وجدت الله تعالى خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي
وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه
المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله
بن عبيد الله الانصاري رضي الله عنهما [illegible] قال كنت فيمن دفن ثابت
بن قيس بن شماس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر
يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا
هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان زيد بن خارجة رضي الله عنه
خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن
حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذالك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
رضي الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم
عاد ميتا كما كان

في ابراء المرضى وذوي العاهات حدثنا ابو علي بن
مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد

بن النحاس قال حدثنا ابن كردد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي
عن محمد بن اسحق قال حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتاده وجماعة
ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين
قتاده رضي الله عنه يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله
فكانت احسن عينيه وروى قصة قتاده عاصم بن عمر وبن قتاده ويزيد بن عياض
بن عمر بن قتاده ورواها ابو سعيد الخدري عن قتاده رضي الله عنهما وبصق صلى الله
عليه وسلم على اثر سهم في وجه ابي قتاده في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا
قاح وروى النسائي رح عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان اعمى قال يا رسول
الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال عليه الصلوة والسلام فانطلق فتوضا
ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بالنبي محمد نبي الرحمة
يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف
الله تعالى عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء فبعث الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا ونقل ابن فديك
ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم
بن حصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل
على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان
رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن اكوع رضي الله عنه يوم خيبر

فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم رضي الله عنه يوم خندق اذ انكسرت
فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء
رضي الله عنه فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف
رضي الله عنه اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال
شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها
صبي به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها
بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس
رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه
مثل الجرو الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب رضي الله عنه وهو طفل
فمسح عليه الصلوة والسلام ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها النبي صلى الله عليه وسلم فما زال
يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو يأكل فناولها
من بين يديه عليه الصلوة والسلام وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من
الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد حياء منها **فصل** في اجابة دعائه عليه الصلوة
والسلام وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم
متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي

حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال
حدثنا عبد الله بن ابي الاسود قال حدثنا حرمي قال حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي
الله عنهما قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال عليه الصلوة
والسلام اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته ومن رواية عكرمة قال انس
رضي الله عنه فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي
هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومن دعائه عليه الصلوة
والسلام لعبد الرحمن بن عوف بالبركة وقال عبد الرحمن رضي الله عنه
رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله سبحانه عليه وما خلفه من الذهب
من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي فاخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن
اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف
وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا صلى الله عليه وسلم لمعوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب
ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر رضي الله عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله عليه وسلم
لابي قتادة رضي الله عنه افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن

سبعين

سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم للنابغة
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت
له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل اكثر من هذا ودعا صلى الله
عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي
بعد الحبر معلم البحر وترجمان القرآن ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر رضي الله
عنه بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد رضي فقال فلقد
كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري رحمه الله في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة رضي ايضا وندت له صلى الله
عليه وسلم ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم
لام ابي هريرة رضي الله عنهما فاسلمت ودعا لعلي كرم الله وجهه ورضي الله عنه
ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر
ولا برد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها ان لا يجيعها قالت فما
جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين
عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
الظلماء فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا
لهم فسقوا ودعا صلى الله عليه وسلم على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم تبق له باقية
ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي قطع عليه صلوته
ان قطع الله نجاه ورأى النبي صلى الله رجلا يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال
لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه وسلم لعتبة بن ابي لهب اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة اكلك الاسد فاكلها

حديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعائه على قريش حين وضعوا
السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر
ودعا صلى الله عليه وسلم على الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم اي لا قراءة فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا صلى الله عليه وسلم على
محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض ثم وري فلفظته الارض مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي
التي شهد فيها خزيمة رض للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله
عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اي واقفة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل** في ذكر آيات من بركاته
صلى الله عليه وسلم وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره حدثنا احمد بن محمد
قال حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا اخبرنا ابو الوليد القاضي قال حدثنا ابو ذر قال حدثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا يزيد بن
زريع قال نا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنهم ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف
او به قطاف وقال غيره يبطأ فلما رجع قال صلى الله عليه وسلم وجدنا فرسك بحرا
فكان بعد لا يجارى ونخس صلى الله عليه وسلم ~~وجدنا فرسك بحرا~~ جمل جابر رضي الله عنه
وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس
لجعيل الاشجعي رضي الله عنه خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها
نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن
عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد

رضي الله عنه

رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنها انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون
رحمهم الله قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان رضي الله عنه
ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
النبي صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق صلى الله
عليه وسلم في بئر كانت في دار انس رضي الله عنه فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر
عليه الصلوة والسلام على ماء فسأل عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان
وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى
صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا
وكان لام مالك رضي الله عنها عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها
بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها
حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل
ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على
ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام
صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك
الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار رحمه الله فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها
واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين

اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث خشرم بن عقيل رضي الله عنه
سقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت
آخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت
واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان رضي الله عنه وصلى معه العشاء في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا فاذا
دخلت بيتك فترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة
رضي الله عنه جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا
صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه عليه الصلوة
والسلام لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده
سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة
ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد رضوان
الله تعالى عليهم اجمعين ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا
فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة
رض ومسح عليه الصلوة والسلام على رأس عمير بن سعد رض وبرك فمات وهو ابن
ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك
ويوجد لعتبة بن فرقد رض طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو رضي الله
عنه وكان جرح يوم حنين ودعا له صلى الله عليه وسلم فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على

رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه
الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
ابن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله
عليه وسلم على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه
والشاة قد ورم ضرعها فيضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم
ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة رضي الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه
امرأة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرأوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء
من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس رحمه الله لم يؤت النبي صلى الله عليه باحد به
مس فصك في صدره الا ذهب الجنون ومج صلى الله عليه وسلم في دلو من بئر ثم صب فيها
ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه عليه الصلوة والسلام
ابو هريرة رضي الله عنه النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما
نسي شيئا بعد وضرب صدر جرير بن عبد الله رض ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل
فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
رض وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما وما يحصى عني في
هذا الباب كثير فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقرأته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري

قال حدثنا ابو عمر الهاشمي قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا ابو داود قال حدثنا عثمان بن ابي
شيبة قال حدثنا جرير من الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رض قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذالك الى قيام الساعة
الا حدثه حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة رضي
ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد
فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم
ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يحرك طائر جناحيه في السما الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم
به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة
لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه
في غد يومه وما يفتح الله تعالى على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون
لهم انماط ويغدو واحدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة
وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة وقال اخر الحديث وانتم اليوم
خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم
رد الله باسهم بينهم وسلط اشرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا
قيصر بعده وذكر الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس

وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم ويل
للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذالك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى الشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذالك ما لم
تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذالك وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن
المديني رح الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره
ذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث
اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
حتى ياتيهم امر الله وهم كذالك قيل يا رسول الله صلى الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر
بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج
ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته
وتقتيلهم وتشديدهم وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه
اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن
عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقوله صلى الله عليه وسلم
يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله عسى يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه
سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة
الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحواب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها
قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها
الى البصرة وان عمارا رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم

فی قزمان و قد ابلی مع المسلمین انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلی الله علیه وسلم
فی جماعة فیهم ابو هریرة رضی و سمرة بن جندب و حذیفة رضی الله عنهم
آخرکم موتاً فی النار فکان بعضهم یسئال عن بعض فکان سمرة رضی الله عنه
اخرهم موتاً هرم و خرف فاصطلی بالنار فاحترق فیها وقال فی حنظلة الغسیل
رضی الله عنه لما تزوجته فانی رایت الملئکة تغسله فسالوها فقالت
انه خرج جنباً واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعید رضی الله عنه فوجدنا راسه
یقطر ماء وقال الخلافة فی قریش ولن یزال هذا الامر فی قریش ما اقاموا الدین
وقال صلی الله علیه وسلم یکون فی ثقیف کذاب ومبیر فراوها الحجاج
المختار وان مسیلمة یعقره الله تعالی وان فاطمة رضی الله عنها اول اهله لحوقا
به صلی الله علیه وسلم وانذر بالردة وبان وبان الخلافة بعده ثلثون ثم تکون
ملکا فکانت کذالک بمدة الحسن بن علی رضی الله عنه وقال صلی الله علیه وسلم ان
هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم تکون رحمة وخلافة ثم یکون ملکا عضوضا
ثم یکون عتواً وجبروتاً وفساداً فی الامة واخبر بشان اویس القرنی رحمه
الله بامراء یؤخرون الصلوة عن وقتها وسیکون فی امته ثلثون کذاباً اخرهم
الدجال الکذاب کلهم یکذب علی الله ورسوله وقال یوشک ان یکثر فیکم
العجم یاکلون فیکم ویضربون رقابکم ولا تقوم الساعة حتی یسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال صلی الله علیه وسلم خیرکم قرنی ثم الذین یلونهم
ثم یاتی بعد ذالک قوم یشهدون ولا یستشهدون ویخونون ولا یؤتمنون
وینذرون ولا یوفون ویظهر فیهم السمن وقال صلی الله علیه وسلم لا یاتی زمان
الا والذی بعده شر منه وقال علیه الصلوة والسلام هلاک امتی علی یدی
اغیلمة من قریش قال ابو هریرة رضی الله عنه لو شئت سمیتهم لکم بنو فلان وبنو

واخبر صلی الله علیه وسلم بظهور القدریة والرافضة وسب اخر هذه الامة
اولها وقلة الانصار حتی یکونوا کالملح فی الطعام فلم یزل امرهم یتبدد حتی لم
یبق لهم جماعة وانهم سیلقون بعده اثرة واخبر صلی الله علیه وسلم بشان الخوارج
وصفتهم والمخدج الذی فیهم وان سیماهم التحلیق ویری رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة یتباهون فی البنیان وان تلد الامة ربتها وان قریشا والاحزاب
لا یغزونه ابداً وانه هو یغزوهم واخبر صلی الله علیه وسلم بالموتان الذی یکون
بعد فتح بیت المقدس وما وعد من سکنی البصرة وانهم یغزون فی البحر کالملوک
علی الاسرة وان الدین لو کان منوطاً بالثریا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ریح فی غزاته صلی الله علیه وسلم وقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الی المدینة
وجدوا ذالک وقال لقوم من جلسائه ضرس احدکم فی النار اعظم من احد قال
ابو هریرة رضی الله عنه فذهب القوم یعنی ماتوا وبقیت انا ورجل فقتل
مرتداً یوم الیمامة واعلم صلی الله علیه وسلم بالذی غل خرزاً من خرز یهود
فوجدت فی رحله وبالذی غل شملة وهی حیث وناقته صلی الله علیه وسلم حین
ضلت وکیف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان کتاب حاطب رضی الله عنه
الی اهل مکة وبقضیة عمیر مع صفوان حین ساره وشارطه علی قتل النبی صلی الله
علیه وسلم قاصداً لقتله واطلعه رسول الله صلی الله علیه وسلم قاصداً علی الامر واسر
اسلم واخبر صلی الله علیه وسلم بالمال الذی ترکه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان کتمه
فقال ما علمه غیری وغیرها فاسلم واعلم صلی الله علیه وسلم بانه سیقتل ابی بن خلف
وفی عتبة بن ابو لهب انه یاکله کلب الله وعن مصارع اهل بدر فکان کما قال وقال فی الحسن رضی الله
عنه ان ابنی هذا سید وسیصلح الله به بین فئتین ولسعد رضی الله عنه لعلک تخلف حتی
ینتفع بک اقوام ویستضر بک اخرون واخبر صلی الله علیه وسلم بقتل اهل موتة یوم قتلوا وبینهم

فلما اتی عمیر النبی صلی الله علیه وسلم

مسيرة شهر وأخبر بموت النجاشي رحمه الله يوم مات وهو بأرضه وأخبر صلى الله عليه
وسلم فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة
أسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم أبا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائماً فقال له كيف
بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده ويموته
وحده وأخبر صلى الله عليه أن أسرع أزواجه به لحوقاً أطولهن يداً فكانت
زينب رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين رضي الله عنه
بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان
رضي الله عنه يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم
في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر
وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد رضي الله تعالى عنهم وقال صلى الله
عليه وسلم لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما أتي بهما عمر رضي الله تعالى عنه
ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال صلى الله عليه
وسلم تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض
يخسف بها وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الأمة
من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
دعواهما واحدة وقال صلى الله عليه وسلم لعمر في سهيل بن عمرو رضي الله عنهما عسى أن
يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت
النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال صلى الله عليه
وسلم لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فجرت هذه الأمور
كلها في حياته وبعد موته عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبر به جلساءه
من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه

وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده
من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي
سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه
ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه صلى الله عليه
وسلم قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا
بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه عليه السلام
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من
عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم بوقت وصولها
فكان كله كما قال عليه الصلاة والسلام إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم
يأت بعد منها ما ظهرت مقدماته كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس
خراب يثرب وخروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن أشراط الساعة
وآيات حلولها وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده وفيما
أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند
الأئمة والله المستعان

الفصل في عصمة الله تعالى له من الناس

وكفايته من آذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر
لحكم ربك فإنك بأعيننا وقال تعالى أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمداً
أعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين وقال تعالى
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
قراءة عليه والحافظ الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا حدثنا
أبو الحسين الصيرفي قال حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا أبو العباس

المروزي قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا مسلم بن ابرهيم قال
حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة
رضي الله عنها قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا ايها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك
مني فقال عليه الصلوة والسلام الله فارعدت يد الاعرابي وسقط السيف ثم قال
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه
فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية وانها جرت
له يوم بدر وقد انفرد صلى الله عليه وسلم من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنا
فقين وذكر مثله وقد حكي روى انه وقع له عليه الصلوة والصلوة مثلها في غزوة
غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه
الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال
اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية وفي رواية الخطابي رحمه الله ان غورث
بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو
قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في
في قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم

قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى
ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد رحمه الله قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه
وهي حسك على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطأها كثيبا اهيل وذكر
ابن اسحق رحمه الله عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكر الله
مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من الحجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص
تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه
بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى اهله
ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالتا بيننا وبينه
عليه الصلوة والسلام وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة الى
قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال النجا وفرا
هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية
عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله عليه الصلوة والسلام وبيتوه فخرج
عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله تعالى على ابصارهم وذر التراب
على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته تعالى عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله تعالى
له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت
حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته صلى الله

عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه
وفي ابي بكر الجعائل فانتدب له فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه ودعا
صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام
فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلتفت
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيا
الى ركبتها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان
فكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم با
خبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب قلبه فما يدري ما يصنع
وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره
ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له فانطلقت فاقبل
يداه وكان قد تواعد قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر انه
عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي رحمه الله ان رجلا من بني المغيرة اتى
النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر
ان في هاتين القصتين نزل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك
ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة في اصحابه
فجلس في جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا

فقام النبي

فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم وقد قيل ان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي رح انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بني النضير يستعين بهم في عقل
الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية رضي فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا
القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل عليه
السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجة حتى دخل المدينة
وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته عليه الصلوة والسلام فلما صلى
النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه
متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوا نارا كدت اهوي
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال صلى الله عليه وسلم
تلك الملائكة لو دنا عضواً ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى الى اخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة ادرك النبي
يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري
من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنا منه ارتفع الى شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله
عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا
وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه واضرب بسيفي واقيه بنفسي
ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو قال اردت
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال

افضالة قلت نعم ماكنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده
على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك
فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك
ومن عصمته تعالى له عليه الصلوة والسلام ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن
ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه الصلوة والسلام

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع
على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسيا
سة عباده ومصالح امته عليه الصلوة والسلام وما كان في الامم قبله وقصص
الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم عليه السلام الى زمنه
وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله تعالى
فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم
باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات
العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها
وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تنا
قض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحاسن الاداب وكل
شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان

بل كل جاحد له وكافر به من الجاهلية اذا سمع ما يدعوا اليه صدقه ولم يطلب اقامة برهان
عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموا
لهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما
اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر
وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا
تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة وما روي عنه عليه الصلوة
والسلام في حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قوله المعدة حوض البدن والعروق
اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدار
قطني وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن الى قوله
فان كان لابد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله صلى الله عليه
وسلم وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امرأة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن
منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من
ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها
والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض
زواياه سواء وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون

حديث ضعيف

على الساق والف وضماه على الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وقل من موضع
نعم موضع الحجام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملي هذا
مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت
آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا
بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان
من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وقوله في الحديث الآخر الذي
يروى عن معاوية رضي الله عنه انه كان يكتب بين يديه عليه
الصلوة والسلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق
السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا ان لم تصح
الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب
وحفظ معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه اول الكتاب وكذلك حفظ كثير من لغات الامم كقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وكقوله
صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله عليه الصلوة
والسلام في حديث ابي هريرة رضي الله عنه اشكنب درد اي
وجع البطن بالفارسية مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه
الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل
كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولا عرف بصحبة من هذه صفته
ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف

هو قبل

هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما
حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله
عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء
مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر فرد قولهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا عربي مبين
وما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومي وسلمان
رضي الله عنه انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من
الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف
في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلا
ها اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة
ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف
باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي
عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا
فيأخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن
الحرث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم
عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد منهم
بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم

يخرج عن بلاده الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم واختلاف الى حبر او فيلسوف او منجم او كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجيء ما كان به من معجز القرآن قاطعاً لكل عذر ومدحضاً
لكل حجة ومجلياً لكل امر   ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته
وباهر اياته وانباؤه مع الملئكة والجن وامداد الله سبحانه له بالملئكة وطاعة
الجن ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان
الله هو موليه وجبريل الآية   وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملئكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم الآيتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون
القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعي عليه قال حدثنا
ابو الليث السمرقندي قال اخبرنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد
الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال حدثنا عبيد الله بن معاذ
قال حدثنا ابي قال حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله
قال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل عليه السلام في صورته
له ست مائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملئكة
عليهم السلام وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء
مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه جبريل عليه السلام
في صورة رجل يسئله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة
وغيرهما رضي الله عنهما عنه عليه الصلوة والسلام جبريل في صورة دحية
ورأى رض على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما

ثياب بيض

ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملئكة خيلها يوم بدر
وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى
ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والارض
ما يقوم لها شيء وقد كانت الملئكة تصافح عمران بن الحصين رض وأرى النبي
صلى الله عليه وسلم لحمزة رضي الله عنه جبريل في الكعبة فخر مغشياً عليه ورأى
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير رضي الله عنه لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال نغمة
الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحاً ومن
بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سوراً من القرآن وذكر الواقدي
رحمه الله قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة
فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله
عليه وسلم ان شيطاناً تفلت البارحة ليقطع علي صلوتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه
كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي
لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئاً وهذا باب واسع   ومن
دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته

وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وكعب بن لؤي
وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته
وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله
عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم رضي الله عنهم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب
بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وا
ساقف نجران وغيرهم رضي الله عنهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك
هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبهم
وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء
اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر
وقد قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته عليه الصلوة والسلام وصفة
اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا
خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة
بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته

وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم
النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة ومكتوبا في الحجارة والقبور
بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك رضي الله عنهم معلوم
مذكور ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما
حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان
بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام
عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه الصلوة والسلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك
الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما
جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة
طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان عليه الصلوة والسلام اذا اكل
مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان
سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح عليه السلام صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن
حاضنته ما رأيته عليه الصلوة والسلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة
السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من
بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره
في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط
الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله
له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة رضي الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت
ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها ورو

ذالك عن اخبار من كهنتها ومن ذالك انه نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة
يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي واشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل
في الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان صلى الله عليه وسلم لا ظل لشخصه في شمس
ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذالك تحبيب الخلوة اليه
حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته ومنبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه
وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن
على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه في غسله وما روي من تعزية
الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه رضي الله تعالى عليهم اجمعين
من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت
من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا
الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير
الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى ان يكون
ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا
وعند نبينا عليه الصلوة والسلام مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذالك فان
اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذالك ان شاء الله
تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت

معجزة

معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق
ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر
هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو
من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعين الف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان
فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز آخر من الاخبار بعلوم الغيب
فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها
بنفسه معجز فيتضاعف العدد مرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها
يوجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر
براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلوة والسلام
في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جملة نحو من هذا الوجه الثاني
وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل
زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه الصلوة والسلام
غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجا
ءهم منها ما خرق عادتهم فلم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذالك زمن عيسى
عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم
يحتسبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
سائر معجزات الانبياء صلوات الله تعالى على جميعهم ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر
والخبر والكهانة فانزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة

والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن نظم الغريب والأسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن الأخبار
عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعرف الخبر
عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرًا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الأخبار
عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الباقية
الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم
القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه
إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان
كل عندها حقًا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار
عليه الصلاة والسلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد أبو علي نا القاضي أبو الوليد نا أبو ذر
نا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث
عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من الأنبياء
نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله
تعالى إلي فأرجو أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم إلى معنى آخر من ظهورها وحيًا وكلامًا لا يمكن التخييل عليه

والتشبيه

والتشبيه فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في
التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من
هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون
شاعرًا أو خطيبًا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى
وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضي ووجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد
مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى لم يقدرهم عليها وما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم وإلى هذا ذهب الإمام
أبو المعالي الجويني وغيره وقال هذا عندنا أبلغ في خرق العادة في الأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارًا أن ذلك
صحيح النظر وأما التحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم يأتوا به فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق
عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر
آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام
العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم

وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم
يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح بعد إجماعهم
على صلبه قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءهم من الآيات
الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى
بالذي هو خير والعرب على جاهليتها أكثرها تعترف بالصانع وإنما كانت
تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل
الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا
كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا
آباءهم في نصرته والذي في معنى هذا مما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج
إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله أستعين نجز القسم
الأول بحمد الله تعالى وحسن صونه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى
آله وصحبه وسلم تسليما   بسم الله الرحمن الرحيم   وصل اللهم
على سيدنا محمد وآله وصحبه   القسم الثاني فيما يجب على الأنام
من حقوقه عليه الصلاة والسلام قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه
الكلام في أربعة أبواب على ما ذكرناه أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه
وسلم الباب الأول في فرض الإيمان به وتصديقه ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر

بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال الله
تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية فالإيمان
بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد الخشني
الفقيه بقراءتي عليه نا الإمام أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن عمرويه نا ابن سفيان
نا أبو الحسين نا أمية ابن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد الرحمن
بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضي أبو الفضل رحمه الله والإيمان به عليه الصلاة والسلام هو تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به والتصديق كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان
فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان
به محتاج إلى عقد بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله
والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أي لكاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا

بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم
على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا
امروا بالبحث عنها بل نهى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه
والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت
الشهادة به وراه بعضهم مؤمنا مستوجبا الجنة لقوله عليه الصلوة والسلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله
وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة
فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص
بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا
هو الصحيح وهذا نبذة تفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما
يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة
يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا
خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل**
فاما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك
مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول

وقال واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته
بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض
طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال
السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم
عليكم والرسول فيما بلغكم وقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة
له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
محمد بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري نا عبدان اخبرنا
عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به
وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم
التمني وقال عليه الصلوة والسلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فاتوا
منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام كل امتي يدخلون الجنة

وقال

على طاعته

الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وفى الحديث الاخر
الصحيح عنه عليه الصلوة والسلام مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال
يا قوم انى رأيت الجيش بعينى وانى انا النذير العريان فالنجا فالنجا فاطاعه طائفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من
عصانى وكذب ما جئت به من الحق وفى الحديث الاخر فى مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها
مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة وبعث داعيا
ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه
فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله
تسليما اى ينقادوا لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان
لكم فى رسول الله اسوة فى الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع لسنته
وترك مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب
للمتخلفين عنه وقال سهل فى قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين
الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى الاية
الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم
له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن ان قوما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل

تعالى قل ان

تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الاية وروى ان الاية نزلت
فى كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا
لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته ورضاه بما امر ومحبة
الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق
ومن العباد طاعة كما قال القائل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس
بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع وقال محبة العبد لله تعظيم
له وهيبة منه ومحبة الله له رحمته له وارادة الجميل له بكونه بمعنى مدحه وثنائه عليه قال
القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتى بعد فى ذكر
محبة الله العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال نا ابو
الاصبغ عيسى بن سهل ونا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقرائتى عليه قال نا حاتم بن
محمد قال نا ابو حفص الجهنى نا ابو بكر الاجرى نا ابراهيم بن موسى الجوهرى نا داود
بن رشيد نا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر الكلاعى
عن العرباض بن سارية فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتى
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث جابر بمعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث
ابى رافع عنه عليه الصلوة والسلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر
من امرى مما امرت او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه وفى حديث
عائشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى
صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله انى لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو

حديث عرباض صح

الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا الآية وقال عليه الصلوة والسلام من اقتدى بي فهو مني ومن
رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور
محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلم ثلثة فما سوى ذلك فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة
وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه الصلوة والسلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال عليه الصلوة والسلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك
بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي
عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه الصلوة والسلام ان بني اسرائيل
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه واصحابي وعن انس رضي الله عنه
قال عليه الصلوة والسلام من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان وعن عمرو بن عوف المزني
ان النبي عليه الصلوة والسلام قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتي قد اميتت
بعدي فله من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن
السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا
الشيخ ابو عمر موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال

حدثنا ابو عمر الحافظ قال نا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ ووهب بن ميسرة
قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل
خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف
وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله
بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها
من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال
من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله
وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين
قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس
وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان

من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على
السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابداً وما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات
عنها ورقها فان اقتصاداً في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهاداً واقتصاداً ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب
بعضهم عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصهم هل ياخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر
الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل
فقال لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو
عثمان الحيري من امر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله والعمل
الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن
حنبل قال كنت يوماً مع جماعة قد تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت
تلك الليلة قائلاً يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة

وجعلك اماماً يقتدى بك قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره وتبديل
سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا ابو القاسم
خلف بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابي سليمان
نا سحنون بن سعيد نا ابن القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا
هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً
وروى انس رضي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم من ادخل في امرنا ديننا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئاً على
اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام الا وانما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه الصلوة والسلام وجيء بكتاب الله في كتف
كفى بقوم حمقاً او قال ضلالاً ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب
غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية
وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى
ان تركت شيئاً من امره ان ازيغ **الباب الثاني** في لزوم محبته صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال

افترفتموها الآية فكفى بهذا حظا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة والسلام اذ قرع
الله تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم
ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما
قرأته على غير واحد قال نا سراج ابن عبد الله القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا
المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب بن ابرهيم نا
ابن علية عن عبد العزيز ابن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام
ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما
يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شئ الا نفسي التي بين
جنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل
من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى
نفسه في ملكه عليه الصلوة والسلام لم يذق حلاوة سنته لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث **فصل** في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو
محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن
خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان
نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس ان رجلا اتى النبي

حديث شريف

حديث

عليه الصلوة والسلام فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها
قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله
قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى
هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى
وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما فقال من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروى
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب
من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان
دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان
رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال
بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله
فانزل الله الآية وفي حديث انس ومن احبني كان معي في الجنة **فصل**
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم
نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله

فائدة

تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا
ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله ومثله عن ابي ذر
تقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب
الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
احب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم
ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي فعجل رب قبضي اليك
حتى يغلبه النوم وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان
اقر لعيني ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للعباس ان تسلم احب الي
من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا
هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل
مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من اموالنا
واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن
اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش
صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت
قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني
النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طول
وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك

يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته
واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ويروى ان امرأة قالت
لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت
حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان
ابن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك يضرب
عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه
الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رأيت
من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن
عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت
من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ورسوله
ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت
صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته عليه الصلوة
والسلام اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا
في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر
علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة
شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة واسخاط العباد في رضاء الله حدثنا القاضي ابو علي الحافظ

حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي
نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن محبوب نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا
محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح
وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي
فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه الصلوة والسلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال
ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا
اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا
وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قول قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن
معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار
الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحق التجيبي كان النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التا
بعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته من احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته
وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم
وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال عليه الصلوة والسلام في الحسن
والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية فاحب من يحبهما وقال من احبهما

فقد احبني

فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني
ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة انها
بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه
وقال آية الايمان حب الانصار وآية بغضهم وفي حديث عمر من احب العرب فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب
كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت
احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن
جعفر رضي الله تعالى عنهم اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان
يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه
عليه الصلوة والسلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها
ان يحب القرآن الذي اتى به عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه القرآن
وحبه للقرآن تلاوته وتفهمه والعمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي

صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها
الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم
كما قال صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته
زهد مدعيها في الدنيا وايثار الفقر واتصافه به وقد قال عليه الصلوة والسلام
لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي
او الجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله
يا رسول الله اني احبك انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلث مرات
قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف
الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم
في ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال
فقال سفيان رحمه الله تعالى المحبة اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال
بعضهم محبة الرسول عليه الصلوة والسلام اعتقاد نصرته والذب عن سنته
والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال
بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم
مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرة المحبة

دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له
اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مايل اليها لموافقتها
له او لاستلذاذه بادراكها بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة
كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مايل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من امة في الآخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت
هذه الاشياء كلها في حقه عليه الصلوة والسلام فعلمت انه صلى الله عليه وسلم
جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهرة وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى
زيادة واما احسانه وانعامه على الله فكذالك قد مر منه في اوصاف الله تعالى
من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به
من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا
من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على
كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية الضلالة
وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدايم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه

عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقة شرعاً بما قدمناه من صحيح الآثار ودعاً
وجبلة بما ذكرناه انفاً لافاضته الاحسان وعموم الاجمال فاذا كان الاحسان يحب
من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفاً واستنقذه من هلكة او مضرة مدة لباز
بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم
اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته
او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية
مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله تعالى عنه في صفته صلى
الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض
الصحابة رضي الله عنهم انه كان لا يصرف بصره عنه محبته فيه صلى الله تعالى عليه
وسلم فصل في وجوب مناصحته عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا
على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقرائتي عليه
نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المؤمن نا ابو بكر التمار
نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن
يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين
النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من
شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة من النصاح

وهو الخيط

وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله
تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز
عليه والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة
لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له
وتفهمه والتفقه بما فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق لنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله
ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حياً وميتاً واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه
الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها
والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد بن
مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر
الآجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحاً في حياته ونصحاً بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الآية وقال وينصرون الله ورسوله واما نصيحة
المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة
على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب
عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذر منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان

ومشاهير النوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال
غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني
كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر
الله لي ذلك فغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعاونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن الوجوه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم
عنهم من امور المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب الثالث** في تعظيم امره
ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث آيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه
قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال
الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهي
عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس
وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا
قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه
فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا
يسبقوه اليه والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي

قال الماوردي اتقوه

اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع
لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما
يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال
ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باشرف
ما يحب ما ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال
غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل غيرهم
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله
تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى
في محاورة كانت بين ابو بكر وعمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان
يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت
نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فاقتل
يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله
لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه كاخي السرار ما كان
يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله
فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم

فلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات اكثرهم في غير بني تميم نادوه **وروى** صفوان ابن عسال
قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه بصوت له جهوري ايا محمد ايا
محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة
كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا
له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم
لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها النبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها
قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل
غير هذا والله اعلم **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه عليه الصلوة
والسلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر
الاسدي سماعي عليهما في اخرين قالوا نا احمد بن عمر نا احمد بن الحسين
نا محمد بن عيسى نا ابراهيم ابن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وابو معين
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوة بن شريح
حدثني يزيد بن حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني
منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني **وروى**
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه
من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه

الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما
وروى ابن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى وانه لا يتوضأ
الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة
الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده
وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني
جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت
ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه **وفي رواية** ان رايت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى
وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث
قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق
وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن الامر فأوخره سنين من هيبته **فصل**
واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذالك عند ذكره عليه الصلوة والسلام وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل
بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر
عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين (سنين)
رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو
القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا نا ابو العباس احمد
ابن عمر بن دلهاث قال نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج
نا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد
قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان
الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية
ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم

جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج
حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه
وينحني حتى يصعب ذالك على جلسائه فقيل له يوما في ذالك فقال لو رايتم ما رايت
لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء
لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا
فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرأ القرءان ولا
يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله تعالى ولقد كان عبد الرحمن
بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد
جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله
بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رايت الزهري وكان من اهنأ الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده النبي

صلى الله عليه وسلم خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه
وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من
الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله **فصل** في سيرة السلف في
تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ نا ابو الفضل ابن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا
علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق
ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت
عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة
مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه
فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل
الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له **وحكى** مالك ذلك عن جعفر بن
محمد رضي الله عنهما وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث فقال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس

مالكا

مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او
المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى
له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي اويس فقيل لمالك في
ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به
الا على طهارة متمكنا وقال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل وقال
احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة كانوا
يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة
ولا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله
بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك
اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فا
نتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي
عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ان
ادب وذكر ان هشام بن الغازي سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه
عشرين سوطا ثم اشفق له فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني

سياطاً ويزيد في حديثنا قال عبد الله صالح بن كامل والليث لا يكتبا الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم قال الله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثاً قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي الله تعالى عنهم وقال عليه الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه الصلوة والسلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم

هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً وحسناً وحسيناً وفاطمة رضي الله تعالى عنهم وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال صلى الله عليه وسلم للعباس والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله وقال صلى الله عليه وسلم للعباس اذا كان غداة غد فأتني انت وولدك فغدا علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملائه وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت آمين آمين وكان يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في اهل بيته وقال ايضاً والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشاً اهانه الله وقال قدموا قريشاً ولا تقدموها وقال عليه الصلوة والسلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحرث رأيت ابا بكر رضي الله تعالى عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة

بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر
رأسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه
ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لابنه عبد الله
في ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلثة الاف وخمسمائة قال عبد الله
لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن
ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب
الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه
صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله تعالى
لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس
فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فاسئل بعد ذلك فقال خفت
ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل اله النار
بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر رضي الله عنه ابن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما
وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي
اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة
السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما
توفي وفدت على ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فصنعا بها مثل
ذلك **فصل** ومن توقيره وبره عليه الصلوة والسلام توقير
اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم
والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم
من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك
ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل يذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة
والسلام اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم الى اخر السورة
وقال الله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
وقال لقد رضي الله عن المؤمنين الاية وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله

والمبتدعين

عليه الآية حدثنا ابو علي نا ابو الحسين وابو الفضل قالا نا ابو يعلى نا ابو
علي السنجي نا محمد بن محبوب نا الترمذي نا الحسن بن صباح نا سفيان
ابن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الا به وقال
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن
اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة
ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك
بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع
باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال من غاظه اصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ

بالعروة

بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد
بري من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون
قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذالك يا ايها الناس اني
راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف فاعرفوا لهم ذالك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد
منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين
عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم احد معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي
صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فا
ابغضه الله وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه
يوشك ان ياخذه وعنه عليه الصلوة والسلام من حفظني في اصحابي كنت
له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم
يرني الا من بعيد وقال مالك رحمه الله عليه هذا النبي صلى الله عليه
وسلم مؤدب الخلق هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل
الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر لهم كالمودع لهم وبذالك امره الله وامر النبي

صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروى عن كعب ليس
احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب
من المغيرة ابن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه
واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة والسلام او عرف به وروى عن صفية بنت
نجدة قال كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت
الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
عليه الصلوة والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر
عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة والسلام لئلا اسلب بركتها
وتقع في ايدي المشركين وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه
الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة روى انه وهب للشافعي رضي الله عنه كراعا
كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه رحمه الله
بمثل هذا الجواب وقد حكى عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان
من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة
ردية يضرب ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى

ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير
طيبة وفي الصحيح انه قال عليه الصلوة والسلام في المدينة من احدث فيها
حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
منه صرف ولا عدل وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله
عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به
الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه
الصلوة والسلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدث
ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى
باكيا منشدا ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا
لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكي عن
بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
انشأ يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الا
وهام واذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير
من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وذمام وعن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له في ذلك فقال العبد الابق لا يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت
ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير
لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها
الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت
تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر
مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين

ومنبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ومواطن طويت
فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان نعظم عرصاتها وتنسم
نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها وانشد ◦ يا دار خير المرسلين ومن به
هدى الانام وخص بالآيات عندى لاجلك لوعة وصبابة وتشوق
متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ◦ من كثرة التقبيل والرشفات ◦ لولا العوادي والعوادي
زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات لكن ساهدي من حفيل تحيتي لقطين
تلك الدار والحجرات اذكى من المسك المفتق نفحة ◦ تغشاه بالآصال ◦
والبكرات واحصه بزواكي الصلوة ونوامي التسليم والبركات ◦

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس رضي
معناه ان الله وملئكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله
وقد ورد في حديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة
اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلوة
من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة
وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة الملائكة
الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل
على انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي
ابو بكر ابن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله

اصحابه

اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي عند
حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة
لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة والثاني اي السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله
الثالث بمعنى المسالمة والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه
وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى عن ابي جعفر
الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض
مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه
من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور
عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها
مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض
الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك
لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو
محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال
القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين
في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب

الشافعي رضي الله عنه الفرض منها الذي امر الله به ورسوله هو في الصلوة
قالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة وحكى
الامام ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد الاخير وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك
لم يجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه
المسئلة عليه المخالفة فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر ابن المنذر يستحب ان لا
يصلي احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
ترك ذلك تارك فصلوته مجزية عنه في مذهب مالك واهل المدينة
وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول
جمل اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة
وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة
الاعادة واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى
ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد
بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها
فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى البغدادي المالكي عن المذهب
فيها ثلثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي
من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها

الصلوة في حواشي

قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل
الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا
تشهد ابن عباس الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه
وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي
هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى
الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم لم يذكروا فيه
صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه
عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون
الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث
لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي
مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي
حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة
لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب
انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلوة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها
لم تتم **فصل** في المواطن التي يستحب فيها الصلوة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمنا
وذلك بعد التشهد وقبل الدعا اخبرنا القاضي ابو علي رحمه الله
بقراءتي عليه قال نا ابو القاسم البلخي قال نا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي
عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال نا محمود بن

عبد الله نا عبد الله بن يزيد المقرئ نا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ
الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال
له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد ما شاء وروي عن غير هذا السند
بتحميد الله وهو الاصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء
والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى
يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروى ان الدعاء محجوب حتى
يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم
ان يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل حاجته فانه اجدر ان
ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح
الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج
الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا هراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء
واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات
فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته
فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار
واسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين

اركان الدعاء صح

على

على لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة
على صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم يبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد
عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين
آمين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه وكتابته او عند
الاذان وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره
سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب قال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله
الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال
بعد ذكر الله صلى الله عليه وسلم على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله
اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا
وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال
ابو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم
عليه وعلى آله تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم قال وان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة

ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على
اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال
النخعي اذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة اذا دخلت اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
صلى الله عليه وسلم وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد
واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن سفيان لما ذكره بحديث فاطمة رضي الله
تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد
ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا
هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة
على النبي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي واله في الرسائل
وما يكتب بعد البسملة ولم تكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من
يختم به ايضا الكتب وقال عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذالك الكتاب ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم
خلف بن ابراهيم المقري الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة
بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن
اسماعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

محل عجيب

السلام

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت
كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه
وسنته اول التشهد وقد روى وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان
يقول ذالك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك
في المبسوط ان يسلم مثل ذالك اذا فرغ من تشهده واراد ما جاء
عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
عند سلامه كل عبد صالح في السما والارض من الملائكة
وبني ادم والجن وقال في المجموعة واحب للماموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل

في كيفية الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا
ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه نا القاضي
ابو الاصبغ عيسى بن سهل نا ابو عبد الله نا يحيى نا مالك
عن عبد الله ابن ابو بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي
انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما
صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما
باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود

الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على
آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي
الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا
نا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال نا ابو بكر المطوعي قال نا ابو
عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي
عن حرب بن الحسن عن ابيه عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد
عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب
رضي الله تعالى عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب
العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم
وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على آل

علي ابراهيم وعلى

على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا
صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه
وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم
قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
انك حميد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات
اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على
محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل
باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون
وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم افسح له عدنك واجزه مضاعفات الخير
من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من
ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم

وعنه ايضاً في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلواة البر الرحيم
والملئكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين صلى الله على محمد ابن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج
المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه
فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال
محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد
مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس
الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى
اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره واتباعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين
يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم
وموسى وعن وهب بن ورد انه كان يقول في دعائه اللهم
اللهم اعط محمداً افضل ما سألك له احد من خلقك واعط
محمداً افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود

انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك
حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء عن اهل
البيت وغيرهم كثير وقوله عليه الصلوة والسلام كما قد علمتم
هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد
علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله
السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي رضي الله
عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وفي حديث الصلوة
عنه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الاحاديث المرفوعة
وقد ذهب ابو عمر ابن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي
صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص

به ويدعو لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد
في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وال محمد كما
رحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم ولم يأت هذا في حديث وحجته
قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
فصل ٧٥ في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعاء له حدثنا
احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه نا القاضي يونس بن مغيث نا ابو بكر
ابن معوية نا النسائي انا سويد بن نصر انا عبد الله عن حيوة
شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن جبير مولا
نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا
على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه وسلم عشرا ثم سلوا لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة وروى انس
بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلوة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له
عشر درجات وعن انس عنه عليه الصلوة والسلام ان جبريل ناداني فقال
من صلى عليك صلوة صلى الله عليه وسلم عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلوة والسلام لقيت جبريل
فقال لي ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ~~عبد الرحمن بن عوف عنه~~ عليه الصلوة
والسلام ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله بن ابي طلحة

وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه يقول من قال اللهم
صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له
شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة
وعن ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن
عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى
علي صلوة في كتاب لم تزل الملئكة صلت عليه الملئكة ما صلى
علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم
اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان
زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال
الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي
كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما
يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله
بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا
صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة

الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
كذا في صحيح مسلم وعن ابن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم
علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام
ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابو بكر رضي الله تعالى
عنه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار
والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على
النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
ثنا نا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا نا ابو علي
نا السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى نا احمد بن ابرهيم الدورقي نا ربعي
بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن ابو سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف
رجل ادرك ابواه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال
او احدهما وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين
ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال ادرك رمضان

فمات

فمات فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات
مثله وعن طلحة بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام
انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم
يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله
ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة
ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة رضي الله
عنه من نسي الصلوة على النبي طريق الجنة وعن قتادة رضي الله عنه
عنه عليه الصلوة والسلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن
جابر رضي الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا عنا انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون
فيه صلى الله عليه وسلم الا كان عليه حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى
الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزء عنه ما كان في ذلك
المجلس فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ
من عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي نا الحسين
بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا عبد المؤمن نا ابن داسه نا ابو داود نا ابن

عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن
عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وذكر ابو بكر ابن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري
سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي
هريرة رضي الله عنه وعن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل
جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي
علي الا عرضت صلاته حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه الصلوة
والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم ويصلي
عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه
وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما
اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي
عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك
ويسلمون اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة

في ليلة

في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم فان الارض
لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك
حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا
وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام قال الفقيه القاضي رحمه الله
تعالى عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره
ان يصلى الا على النبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز
ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره
الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى
يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم
وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي
صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله
وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي روى ابن عباس
رضي الله عنهما كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
قال وبه اقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا

في نسخة القابسي

والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع
وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وقال تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته
وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل آل بيته
وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه
وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس
سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب
الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلوته على النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه
لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو
الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه الصلوة والسلام لقد اوتي
مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود عليه السلام وفي
حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الا
ندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى
ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على

صلوة قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال
الفقيه القاضي رحمه الله تعالى والذي ذهب اليه العلماء المحققون واميل
اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد من المتكلمين والفقهاء انه لا يصلى على غير الانبياء عند
ذكرهم بل هو شيء يختص بالانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص الله
تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما
ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال الله تعالى
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة
في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي
صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي
عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الآل والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة
النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء
الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا

فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلوة والسلام وفضيلة من زاره وسلم عليه

عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام سنة من سنن
المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي
صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك رضي الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان
في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي
فكانما زارني في حياتي ذكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم لما ورد في قوله عليه الصلوة
والسلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله انهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله من زار قبري وجبت له شفاعتي فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان
ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل
زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال
طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا من الزيارة مباحة
بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره عليه الصلوة والسلام يريد
بالوجوب هنا بالوجوب ندب وترغيب وتاكيد الاولى عندي
ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه الصلوة والسلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل
اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم الفقيه

ومما لم يزل

ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه
وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من
وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملئكته
يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليه وسلم ~~فتلا هذه الآية ان الله وملئكته~~
يا محمد يقول لها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي
اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني
السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن
مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح
الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو
ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي
صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر فيقول السلام على النبي
السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف وفي الموطا من رواية يحيى
بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وعند ابن القاسم القعنبي ويدعو
لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

وبركاته في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعنده انه
يدعو للنبي بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر في حديث ابن عمر من الخلاف وقال
ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه الصلوة
والسلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما
وتسئاله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة
اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف متواضعا
متوقرا وتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر
من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي
مسجد قبا وقبور الشهداء وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى
النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك
وفي رواية او نحوه فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني
اسئلك من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن
سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها

ورحمة الله وبركاته بسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها
ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله
عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية
حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله
وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم
افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة
قال اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل
اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان
يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقيل له فان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة
او في الايام المرة والمرتين او اكثر وربما وقفوا في الجمعة عند
القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جا من سفر او اراده قال

ابن القاسم وكرهت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها ان يأتوا
القبر فيسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم
يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه الصلوة والسلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب
احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي
صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى
الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم

من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد
مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي
هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس
وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه مسجد قباء حدثنا هشام
بن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال نا الحسين ابن محمد الحافظ نا ابو
عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المؤمن نا ابو بكر بن داسة نا ابو داود
نا مسدد نا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي

الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة
مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت
الاثار في الصلوة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك رحمه الله
سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين
اوجعتك ضربا ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه
عما يكره قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله حكى ذلك كله القاضي
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس
مما خص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة رضي الله
عنه عنه عليه الصلوة والسلام صلوة في مسجدي هذا خير
من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال الفقيه القاضي ابو
الفضل رحمه الله تعالى اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك

في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه
الى أن معنى الحديث أن الصلوة في مسجد الرسول أفضل من الصلوة
في سائر المساجد بألف صلوة إلا المسجد الحرام فإن الصلوة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلوة فيه بدون الألف
واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه صلوة في
المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول
عليه بتسعمائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل المدينة
على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين
وذهب أهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن
وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الباجي عن الشافعي
وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلوة في المسجد الحرام
أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث
أبو هريرة وفيه وصلوة في المسجد الحرام أفضل من الصلوة في مسجدي
هذا بمائة صلوة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد
الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف
أن موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض قال القاضي
أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر
المساجد ولا يعلم منه حكمها على المدينة وذهب الطحاوي الى أن
هذا التفضيل إنما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا
الى أن ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان
خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيره

حدثنا نحوه

حدثنا نحوه وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد وزاد
ومنبري على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر
مع أنه روي ما بينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري رحمه الله وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات
ولم يكن بينها خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على
حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني
أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأ
عمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء
والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا
يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيمة
وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة
كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج أحد من المدينة رغبة
عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه الصلوة والسلام من مات
في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا
عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر عنه عليه الصلوة والسلام

من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها
وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا قال
بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا
اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
على قول بعضهم ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموا ان كتامة قتلوا
رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله
حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت انه من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك
واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه الصلوة والسلام ما من احد يدعو الله
عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه الصلوة
والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر وحشر يوم القيمة من الامنين قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله
قرأت على القاضي الحافظ ابي على رحمه الله حدثك ابو العباس العذري
قال نا ابو سامة محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن بن
رشد سمعت ابا بكر بن محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة
قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال
ابن عباس وانا دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب وقال عمرو بن دينار وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا

الا استجيب لي وقال سفيان وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا ما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي
الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا ما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو سامة وما اذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي
من امر الاخرة قال العذري وانا ما دعوت بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي سامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا قد دعوت الله فيه باشياء
كثيرة استجيب لي بعضها وانا ارجو من سعة فضله ان يستجيب لي في بقيتها قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن
من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل
ويجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال
الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون
الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد
صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه

ملكا لجعلناه رجلا اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم مخا
لطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على
صورته وقال قل لو كان فى الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو
من جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء
والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم مالم يعلموه من امره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم
متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض
والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا
ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما اطاقوا الاخذ من الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه
غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
بخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة
الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتى
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل
الرحمن وكما قال تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى
اظل يطعمنى ربى ويسقينى فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة

من النقايص

من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لم يكتفى بمضمونها كل همة
بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما يأتى بعد هذا فى البابين
بعون الله تعالى وهو حسبى ونعم الوكيل الباب الاول فيما
يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء
وصلوات الله تعالى عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل
رحمة الله عليه اعلم ان الطوارئ من التغيرات والآفات على احاد البشر
لا يخلو ان يطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض
والاسقام او يطرأ على جسمه بقصد واختيار وكله فى الحقيقة
عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلثة انواع عقد
بالقول وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر يطرأ عليهم الآفات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار فى هذه الوجوه كلها والنبى
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة
البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار وعلى غير
الاختيار كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتى به من التفاصيل فصل فى حكم
عقد قلب النبى صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله وإياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان
به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشئ من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد
المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين القاطعة ان يكون فى عقود الانبياء عليهم السلام سواه

ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي ان لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد
واطمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم
الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفية ومشاهدة الوجه الثاني
ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته
بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك
واصطفائك الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن
في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر
والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب
ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على
طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي على هذه
الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب
فيزداد قربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي
لان يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم
اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى
بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار حاله او زيادة
يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الايتين فاحذر

بنت الله

ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكر فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
وغيره من اثبات الشك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه
من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير وحكى قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت
في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى
قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير
النبي كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره
ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير كما قال بكر بن
العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو
عليه الصلوة والسلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن
كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله
تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل
النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه الصلوة والسلام هو الخبير المسئول
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر به غير النبي بسؤال الذين
يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من
التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله
القتيبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ الكلام اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا

حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء عليهم السلام
ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي
انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم
بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا
والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد
ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وكذلك قوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس
المراد به شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل
لمن امترى يا محمد في ذلك فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية
افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا الآية وان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل
معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل
ان كنت تشك في ما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر
فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا
فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة
التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله تعالى عنها معاذ الله
ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا
ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير
في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا
بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ تفسير سواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء
وكذلك ما روي في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا
تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح
انه قاله بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري
في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه الصلاة والسلام لئلا يفجأه الامر
مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن
عائشة رضي الله تعالى عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي
الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار
حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا
وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال لي اقرأ
فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث
عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه
فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد

ان رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قاله وقصده ما قصد
انما كان قبل لقاء جبريل عليه الصلوة والسلام وقبل اعلام الله
له بالنبوة واظهاره اصطفاؤه بالرسالة ومثله حديث عمرو بن
شرحبيل انه عليه الصلوة والسلام قال لخديجة رضي الله تعا
عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون
هذا امرا ومن رواية حماد ابن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لخديجة اني اسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون
وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر
او مجنون والفاظ يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما راه انه كان كله
ابتداء امره وجعل ابتداء الملك له واعلام الله انه رسوله
تعا ولقائه الملك ان هذه الالفاظ لا تصح فيه ريب ولا تجوز
عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة
اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة رضي
الله تعا عنها واختبارها وامره بكشف راسها الحديث انما
ذالك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان الذي ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولتختبر هو حاله بذلك بل قد روي
عبد الله بن محمد بن يحيى ابن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة رضي الله

تعا عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل
بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع
ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت
له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا
الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم
يسنده ولا ذكر رواته ومن حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب
من بلغه كما قال فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان
النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذالك
عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل
يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان يكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به
ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به
من العذاب وقول الله تعا في يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه
ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه

وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد
قرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد
معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما رضي الله
تعالى عنهم لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين
فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر
وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله سبحانه به على
لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك
مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت
وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا
قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله
في كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع
ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او رينا وقع في قلبه بل اصل الغين في هذا ما
ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم
الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه
يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق

بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق
عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه
وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى
عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى
ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض
معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو
في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا
استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره
ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى
وملازمة العبودية كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا
وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله

فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلني ما ليس لك
به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول
من قال في اية نبينا لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية
نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات
الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم
ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك وليس
في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها فكيف
واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها
اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من
السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك
بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه مكى كذلك امر
نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك
فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى
الخطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكى رحمه الله وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول
بعصمة الانبياء منه بعد النبوة فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين
وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله [illegible]
فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك
انه عليه الصلاة والسلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر
ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى
قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون صلى الله تعالى
عليهما لا تخافا انني معكما لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله
ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك
لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله
فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد
غيره وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله
اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء
ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم وما كان طردهم عليه
الصلاة والسلام ولا كان من الظالمين **فصل** وما عصمتهم من هذا الفن قبل
النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته
والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم السلام

بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان
بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه
في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار
أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب
النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وأنا
أقول إن قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة
ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع
وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلا إليه إذ لو كان
لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم
عن هذا بقوله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وبقوله
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره في
الميثاق وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين
بالإيمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب
هذا ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه
السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك
ثم غسله وملأه حكمة وإيمانا كما تظاهرت به أخبار المبدأ ولا يشبه عليك

بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل كان هذا في سن
الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم
وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج
وقوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي أي عندكم ويدل على أنه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله عنه إذ قال
لأبيه وقومه ما تعبدون ثم قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون
فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقال إذ جاء ربه بقلب سليم أي من الشرك
وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني الأصنام
ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم
وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم في الأزل من الضلال
فإن قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا
أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا إن عدنا
في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وأنها تقتضي أنهم
يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما له
ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم
يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد أبوالا وما كان قبل
كذلك فإن قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو
من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل
وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم
ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك

اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلو بغار
حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى
الاسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله
وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي ابن عيسى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يكن
ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين
مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن
محمد رضي الله تعالى عنهما ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا
تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ووجدك
ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا
ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله
انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال
من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه الصلوة والسلام
قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قال
ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ضالا
فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري
قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي
نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال فكان صلى الله عليه

وسلم قبل

قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد
بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت
من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون
بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه الصلوة
والسلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي
شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع
المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى
تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام
فلم يشهدهم بعد هذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله عليه الصلوة والسلام بغضت
الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه واهله
في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل
يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له
بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف
من سيرته عليه الصلوة والسلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين

في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبراهيم عليه الصلاة
والسلام **فصل** قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد بان بما قدمناه
عقود الأنبياء في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه
فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علماً ويقيناً على
الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه
ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق نبينا عليه الصلاة والسلام في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب
ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما ما تعلق منها
بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء عليهم السلام العصمة من عدم معرفة
الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم
متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف
غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني إن شاء الله تعالى ولكنه لا يقال
إنهم لا يعلمون شيئاً من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم
المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا
بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله
مشهورة وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي
صلى الله عليه وسلم إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون
حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل

فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي
فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي
بعضهم فلا يكون أيضاً ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقاً وصحيحاً
هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ
في الاجتهاد في الشرع لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق
والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولأن القول في تخطئة
المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده
إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم قلبه وأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل
الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علمه الله شيئاً حتى استقر علم جملتها
عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان
ينتظر الوحي في كثير ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه
الصلاة والسلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي
أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده
من ملكوت السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته
الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم
ما كان وما يكون مما لا يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه
فيما أعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له

العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
لقوله انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت
رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم
اعلم وقوله اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به فى علم الغيب عندك
وقد قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم
الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى
لها هذا حكم عقد النبى صلى الله عليه وسلم فى التوحيد والشرع والمعارف
والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله
عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره
بالوساوس وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على رحمه الله قال اخبرنا ابو الفضل
بن خيرون العدل نا ابو بكر البرقانى وغيره نا ابو الحسن الدارقطنى نا اسمعيل
الصفار نا عباس الترقفى نا محمد بن يوسف نا سفيان عن منصور عن سالم
بن ابى الجعد عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة قالوا واياك
يا رسول الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يامرنى الا بخير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها بمعناه وروى
فاسلم بضم الميم اى فانا اسلم منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى
فاسلم يعنى القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر
بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضى
ابو الفضل رحمه الله تعالى فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل واحد من بنى

آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
بتصدى الشيطان له فى غير موطن رغبة فى اطفاء نوره واماتة نفسه او ادخال
شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلاته واخذه
النبى صلى الله عليه وسلم واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة رضى الله عنه عنه صحاح
عليه الصلوة والسلام ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة هر
فشد على يقطع على الصلوة فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت ان
اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان رب
اغفر لى وهب لى ملكا الاية فرده الله خاسئا وفى حديث ابى الدرداء عنه
عليه الصلوة والسلام ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى
والنبى صلى الله عليه وسلم وذكر تعوذه بالله منه ولعنه ثم اردت اخذه وذكر
نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك فى حديثه فى الاسراء
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره فى الموطا ولما لم يقدر
على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش فى الايتمار بقتل
النبى صلى الله عليه وسلم وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة
يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره
وعصمه ضره وشره وقد قال عليه الصلوة والسلام ان عيسى عليه الصلوة
والسلام كفى من لمسه فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب
وقال عليه الصلوة والسلام حين لد فى مرضه وقيل له خشينا ان يكون به
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض

المفسرين اختصارا راجعة الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين ثم قال
واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب يحملك
على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال
تعالى بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركك
والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب
على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته
اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان
في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره
الله بديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية
اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ها هنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه
الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم
اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد بابلغ من هذا ان شاء الله تعالى

وقد حكى

وقد حكى السمرقندي رحمه الله انكار قول من قال بتسلط الشيطان على
ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي
في قصة ايوب وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز
لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي رحمه الله وقد قيل
ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله عن يوسف فانساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه الصلاة والسلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله
كما قال تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما
هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك
الوقت نبوة مع موسى عليه الصلاة والسلام قال الله واذ قال موسى لفتاه
والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول
موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل
نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي
انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه
ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه
تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو اشغال خواطرهما بامور اخر

وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه الصلوة والسلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان
بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا
فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام واعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي
انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به
شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا
اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله
عليه الصلوة والسلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه
واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء
منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف
في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي
فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله من
جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن
وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة ولا نطول بذكره فنخرج عن
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه
اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضاء
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قلت يا رسول الله

اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضاء والغضب قال نعم فاني لا اقول
في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله
الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني
وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين
لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه
كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق
بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا
كما قال ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سوالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه
اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب
بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم
عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له

ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تسليه
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك
الآية فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين
أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك
أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم
متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي
حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك
الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف
كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين
أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه منها وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وإن
النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا
أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير
ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين
والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة

امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس فقد بين لك أبو بكر رحمه الله تعالى أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره
سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق
به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة
ضعفه وكذبه كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا
توهينه من طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على
عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل
عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس فيه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن
ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام أو يقول ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا
بالبرهان والإجماع عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه
لا عمدا ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان
عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الآية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام
لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي

المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط
العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة
ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك
لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة
في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي
في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي
حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم
بنت بها شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال بعض
شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا
ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى
ذكر أنهم كادوا ليفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته الله لكاد يركن إليهم
فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً
فكيف كثيراً وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح
آلهتهم وأنه قال عليه الصلاة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا
مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي
عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه

قريش

قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل
ولا كان ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية
تفاسير أخر غير ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في
الآية إلا أن الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم
الآية وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته
ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث
والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته
هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان
عليه في نومه ولا يقظته للعصمة في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي إن
النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا
لا يصح أن يقوله عليه الصلاة والسلام لا سهواً ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان
على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ
للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر
ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته كما رواه
الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات

محاكيا نغمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان
وعيبها ما عرف وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال إن المسلمين
لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي
من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى
تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله
فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ
فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه
وقال إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو
في القرآن إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة
ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه
من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى
هذه القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا
والمراد بالغرانقة العلى وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان
والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم
في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله تعالى كل هذا من قولهم

ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر
آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله
ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد
الشيطان بهما سبيلا للإلباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان
في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء
وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا
العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله
لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من قبلك
الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع
ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك
ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما
تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا فاعلم
أكرمك الله أنه ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس عليه السلام
قال لهم إن الله مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب
صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع

الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب
ومخائله قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي
على عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول
اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري
محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا
توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن
لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله
ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد
صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله تعالى ورسوله
ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة رضي الله تعالى
عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها
في حديث انس وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل انه شاهدها
ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار رحمه الله حديثه ذلك وقال رواه ثابت عنه

ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت
قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت
ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحيح
وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى
الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله تعالى اذ ليس فيه ان صح
اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على
الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ
الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق
ذلك في آية ولا سورة وكذلك قوله عليه الصلوة والسلام ان صح كل
صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب
بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي
صلى الله عليه وسلم لها كما قرأناه فصوبها له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد
ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ

جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام
كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون
فيما يكتبه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الناس غير القرآن
فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء

فصل

هذا الفصل فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار
التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي
بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى
الله تعالى عليه عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال
سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف
واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه
لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند
ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي
الله تعالى عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك اذا
اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت
يا عدو الله وايضا فان اثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه الصلاة والسلام لغلط في قول

قاله

قاله او اعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته
عليه الصلاة والسلام في رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان
ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انكم تختصمون الي الحديث وقوله
اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا
الباب والذي بعده ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى
عرف من شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان استريب بخبره
واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ترك المحدثون
والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة
والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها
لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل
تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة من
قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين
وتصديق ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتجويز شيء من هذا
قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه
لا يجوز على الانبياء خلف في القول بوجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير
قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم

واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر احوال اهل العصر للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش
وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين
لك صحة ما اشرنا اليه

فصل

فان قلت فما معنى قوله عليه
الصلوة والسلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم
ابن جعفر قال نا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال نا حاتم بن محمد
نا ابو عبد الله بن الفخار نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى عن مالك عن
داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
رضي الله تعالى عنه يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة العصر
فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى
ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكونا
وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول
بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو القول الذي
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على المذهب
من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة
النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول

تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه
فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان
فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر
بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله ولم انس
راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس
السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان
احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت
ولا نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد
بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والذي اقول
ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله عليه الصلوة والسلام لم انس
انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى
ولكني انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو
من قبل نفسه وانه كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه
نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن
صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام
بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك
نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال قال

فكان النبي صلى الله عليه وسلم ليسهو في صلواته ولا يغفل عنها ولا كان يشغله عن حركات الصلاة
ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن
في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قوله واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام
المذكورة في الحديث انها كذبات ثلث المنصوص في القرآن منها اثنتان قوله
اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم
اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي
داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال
الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه
من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر من الموت وقيل سقيم
القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم
معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم
التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه
ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره
بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك
اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا
النبي صلى الله عليه وسلم قد سماه كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات وقال

في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مؤاخذته بها واما الحديث كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو
ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال
عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة
كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه
خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل
اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث
وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبانا الله انه ليس كذلك
فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله
في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده
وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة
من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر
مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما
فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه
قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار
هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا
او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله

في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما يتضمنه من مدح الانسان نفسه
ويورث ذلك من الكبر والعجب والتقاطع والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء
فغيرهم بمدرجة سيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها
اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه الصلوة والسلام تحفظا من مثل هذا
مما قد علم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القائلين بنبوة
الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء
فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال
انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف لانه
ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل
الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم
وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر
ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى
والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجي موسى الى
الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل واما ما يتعلق
بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا
الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد
وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء
من الفواحش والكبائر والموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع
الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك
لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك

يقتضي

يقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل
بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا
النجار قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من
السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من
الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت
طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات
في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين
من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا
لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن
عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير
بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في اي امر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في
معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون
لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة
في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء فقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف
انهم معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا
في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب
المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون
عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله بخروجه الى ما ادى

اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة
المكروه قصداً وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند
بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك **وحكى** ابن خويز منداد وابو
الفرج عن مالك رحمه الله تعالى التزام ذلك وجوباً وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والا
صطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك
ندب وذهبت طائفة الى الاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا

وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة

عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله
يتميز مقصده به من القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان
يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز
الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون انه لا يقر على
منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم
دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه
في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمته من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا
فقد علم من دين الصحابة قطعاً الاقتداء بافعال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
كيف توجهت في كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين
نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه

جالسا

جالساً لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في
غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم
وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذي اخبر بمثل
هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والاثار فهذا اعظم اكثر من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه
الصلوة والسلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم
كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة
وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله
والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على
سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه
السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال
نبينا عليه الصلوة والسلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر
انبيائه عليهم الصلوة والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات
بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم
من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تعالى
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها

كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس
في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع من قبله
ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر
الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان
ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل
به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به ولم يؤثر شيء من ذلك
جملة وذهب طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون
متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير
سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر
وقالت فرقة اخرى بالوقف في امره عليه الصلوة والسلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان
عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا
فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى
صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها
ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك
لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء

فلزمت شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه
لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه الصلوة والسلام ولا حجة ايضا
للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين في قوله شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث
ومن لم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على قول
من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير الانبياء
غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول
بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته
في كل نبي فصــــل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال
عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير
قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع
بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال الانبياء في ترك المواخذة به
وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير
الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو
خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم
السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق
النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا وسهوا فكذلك قالوا

الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً لانها
بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهواً وعن غير
قصد منه جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين
ذالك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول
ومخالفة ذالك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا
قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه
الصلوة والسلام انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
ونعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه الصلوة والسلام سبب افادة
علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام اني لانسى او انسى لاسن
بل قد روى لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له
في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان
القائلين بتجويز ذالك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط
بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخرين الاكثرين واما ما ليس طريقه البلاغ
ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلوة والسلام وما يختص به
من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات
علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات الامة ومعانات الاهل وملا

الاعداء

الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه
الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء
يحط من رتبته ويناقض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان
والغفلات والفترات في حقه عليه الصلوة والسلام جملة واحدة وهو مذهب جماعة
المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب
نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى

فصل

في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه الصلوة والسلام قد قدمنا
في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه على السهو عليه الصلوة والسلام وما يمتنع
واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعاً واجزنا وقوعه
في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذالك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه الصلوة والسلام
ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني
حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر خمساً وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه
وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال
وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة
الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه الصلوة والسلام
غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه الصلوة والسلام انما
انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني
كذا وكذا اية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال عليه الصلوة والسلام
اني لانسى او انسى لاسن وقيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا

فائدة

انسى ولكن انسى لأسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان
معناه التقسيم اى انسى انا او ينسينى الله قال القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل
ما قاله ان يريد انى انسى فى اليقظة وانسى فى النوم او انسى على سبيل العادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالى عليه وتفرغى له
فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن
نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعانى والكلام على
الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو فى الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول
وغفلة وآفة قال والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى صلوته ويشغله عن حركات الصلوة
ما فى الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله عليه الصلوة
والسلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد
لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا فى حال ولا حجة لهم
فى قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله انى لا انسى او انسى فقد او انسى
اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر
الاسفراينى ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين
فى قوله انى لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفى حكم النسيان بالجملة وانما فيه
نفى لفظ وكراهة لقبه كقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه
نسى او نفى الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها
ونسى بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل
بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذى ترك يوم الخندق

اربع صلوات

اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى
جواز تاخير الصلوة فى الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن
وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ
له فان قلت فما تقول فى نومه عليه الصلوة والسلام عن الصلوة يوم الوادى
وقد قال ان عينى تنامان ولا ينام قلبى فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة
منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه فى غالب الاوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل قوله
عليه الصلوة والسلام فى الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال
فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله
من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار شرع بعده وكما قال فى الحديث
الآخر ولو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم **الثانى**
ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روى انه كان محروسا وانه
كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلى ولا يتوضأ وحديث ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه
نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك
لملامسة الاهل او لحدث آخر فكيف وفى آخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه
من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس فى قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه الصلوة والسلام ان الله
قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا فى حين غير هذا فان قيل فلولا عادته
من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل فى الجواب انه كان من شأنه

عليه الصلوة والسلام القابس بالصبح ومراعات اول الفجر لا يصح ممن
نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعات
اوله ليعلم بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه عليه الصلوة والسلام عن القول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام
انى انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا
آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض فى هذه الالفاظ اما
نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا محمول على ما نسخ حفظه من القرآن اى ان الغفلة
فى هذا لم يكن منه ولكن الله اظهره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان
من سهو او غفلة من قبله وتذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه صلى
الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق
الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط من هذه
الايات جايز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه
منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خلل فى الخبر
ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه **فصل** فى الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على
ما احتجوا به فى ذلك اعلم ان المجوزين الصغاير على الانبياء عليهم الصلوة
من الفقهاء والمحدثين ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكباير وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا

مما اختلف المفسرون فى معناه وتقابلت الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت
اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح ونحن نأخذ فى النظر فيها ان
شاء الله تعالى من ذلك قوله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء
كقوله وعصى آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك انى
كنت من الظالمين وما ذكر من قصته عليه السلام وقصة داود وقوله
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى قوله مآب
وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم
فى دعائه اللهم اغفر لى ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت ونحوه
من ادعيته عليه الصلوة والسلام وذكر الانبياء فى الموقف ذنوبهم فى حديث
الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى
عن نوح والا تغفر لى الاية وقد كان قال الله تعالى ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال عن ابراهيم والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقوله عن موسى

نبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى التنبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم
يقع انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه
احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه الصلوة والسلام والتحية وقيل
المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا
هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فمقصد الآية انك مغفور
لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة
من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت
ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء
الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل
ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك

ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون
من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له
بحفظه ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم
يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى
معصية بل لم يعده اهل معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد
حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء
فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما
اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج
عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك
ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام
العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي
انها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله — اصلحك
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم
بل بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكأنه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه الصلوة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب من اراد

ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وعلية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال
تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا
ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزيد
هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه
الصلوة والسلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي كرم الله وجهه ورضي الله
تعالى عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال
خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل
منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه
وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه الصلوة والسلام في هذه القضية لو نزل
عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ بمأخذه

في اعزاز

في اعزاز الدين واظهار كلمته واباده عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا
نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم
في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت
لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من
نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي خرج هذا الخبر
اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه
الآية ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل
هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على
ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم
قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لتعظيم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم باظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما
قوله عز وجل عبس وتولى الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلوة
والسلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان
لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما
فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه
الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين
وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك
الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله تعالى



ولا تقربا هذه الشجرة وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى
اى جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسى فلم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله
اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر آدم بمثل هذا فى بعض
الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل
نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر
المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا
فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم يكن معصية
وكذلك ان كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى
عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك
قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها
متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول
ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم
ربه وقال فتاب عليه وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن
اكل الشجرة فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء
الله تعالى واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس
فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما

نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم
العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل
بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة و
قد تقدم الكلام انه لم تكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا على
قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وما قوله
انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند
بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما
حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ
وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا و
استحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما
غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما
قصة داود عليه فلا يجب ان تلتفت الى ما سطره فيه الاخباريون عن اهل
الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شئ من ذلك
ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب ومعنى فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم ما زاد
داود على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على
ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهو الذى ينبغى ان يعول عليه
من امره وقيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه وقيل لما خشى على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا
خصمه والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما

من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود وداود يا خبير نبت ولا
يظن بنبي قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين اختصما اليه رجلان في نتاج
غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف منها تعقب
واما اخوته فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم
في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسل معنا اخانا نرتع ونلعب وان
ثبت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت
به وهم بها لولا ان رآى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يؤخذ به وليس سيئة لقوله عليه الصلوة والسلام عن ربه
اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا
واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه
النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو
عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله
وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك
منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ
فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه
تقديم وتأخير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال
الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل همه بها ان يضربها ودفعها

وقيل همه بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها
ودفعها وقيل هذا كله كان قبل النبوة وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن
الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته
كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه
من عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه
قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك
وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك
من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا
للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو
مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك بلاء بعد بلاء فيما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار
واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره
وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له
اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه
لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك
الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عينه تلك الصورة التي تصور له
فيها الملك امتحانا من الله تعالى له فلما جاءه بعد واعلمه الله تعالى انه رسوله
اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره

قوله تعالى فقضى عليه [illegible] اي قتله [illegible]

على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب
في اللغة معروف وأما قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه وقوله
ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس
مجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا
امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فقال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي
ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فألقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لأنه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه
أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على
ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل
هذا وقد عصم الأنبياء من مثله وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء الله
فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد
الله تعالى والثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن
مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه
الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل أراد
أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كإلانة الحديد لأبيه

وإحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا
وأما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وأنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر
اللفظ لقوله تعالى إنا منجوك وأهلك فطلب مقتضى اللفظ وأراد علم ما طوي
عنه من ذلك لا أنه شك في وعد الله فبين الله عليه أنه ليس من أهله
الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد أعلمه أنه مغرق
الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأوخذ بهذا التأويل وعتب عليه
وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا
وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله وإقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من أن نبيا
قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله تعالى إليه أن قرصتك نملة
أحرقت أمة من الأمم تسبح الله فليس في هذا الحديث ما يقتضي أن هذا الذي
أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته
النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الأذى عليه وليس فيما أوحى الله
إليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله إنما كان لأجل أنها
آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية
النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمرا نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما أوحى الله
إليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم بغيبه فإن قيل فما معنى
قوله عليه الصلاة والسلام ما من أحد إلا ألم بذنب أو كاد إلا يحيى بن زكريا

او كما قال عليه الصلوة والسلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء
التى وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل**
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصى
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى
آدم ربه فغوى وما تكرر فى القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شئ فاعلم وفقنا الله واياك
ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته فى عباده وعظيم
سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق
من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا
عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من
المؤاخذة بها واتوها على وجه التاويل والسهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاصى
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من شئ الدنئ الرذل ومنه ذنب كل شئ اى آخره واذناب الناس
رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم واسوء ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر
والخفى والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية وغيرهم يتلوث من
الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة اليها هذه الهنات فى حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة
الى علو احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى

مقتضى اللفظ كيف ما كانت من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى
اى جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود
اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد
صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن
بضع سنين قيل انه انسى يوسف ذكر الله وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك
قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن قال ابن دينار لما
قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب
انسى قلبى كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء
الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم
ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت
لك المؤاخذة فى هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون
بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال
لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت اليك انى
اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح
الى قوله وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات
وفى الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه ايضا فلينبه
غيرهم من البشر منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة

ما وقع باهل هذا النصب لرفع المعصوم فكيف من سؤهم ولهذا قال
صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله
من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا محمد عليه الصلوة
والسلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم يقولون بغفران الصغاير
باجتناب الكبائر ولا خلاف لعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من
وقوع الصغاير منهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا
عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا
به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة
استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه
ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكر الله على نعمه
كما قال عليه الصلوة والسلام وقد امن من المواخذة بما تقدم وما تاخر
افلا اكون عبدا شكورا وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال
الحارث ابن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله
لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم اممهم كما قال
عليه الصلوة والسلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا
فان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء
محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث
الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعاء
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له
ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الاية وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **فصل** قد استبان

ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه الصلوة والسلام والتحية
عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله
جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة
ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا
وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب وجد
ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين في الحديث
ان الله ضنائن من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم في عافية جمع ضنينة بمعنى مضنونة
اي خصائص منهم احتفظهم لمكانتهم منه وبتوفيقهم عنده وتقدير هذه الفصول
حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث
لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد
ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط عليه الصلوة والسلام
على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها
صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان
يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه
في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام
فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة

التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتبتني عليها
مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلف الفقهاء
في عدة منها وهو الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وافعاله وهو باب
عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة
في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل
بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف
يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح
فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة
للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول
وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل

في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق
عليه ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم
واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي
واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وقوله

كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت
طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
تعالى بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم
وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن
جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لا يوجب عصمة جميعهم قصة
هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس رضي الله تعالى في خبرهما وابتلائهما
فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح
عن رسول الله عليه السلام وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي
منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم
كما نصه الله تعالى اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما
يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا
في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا
وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من
احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم

السحر وتنبيه وان علمه كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله انما
نحن فتنة فلا تكفر وتعلمهما الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جاء
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا
فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به
ليس بمعصية وهى لغيرهما فتنة. وروى ابن وهب عن خالد بن ابى عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن
ننزههما عن هذا فقرأ وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما
فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره
انهما ماذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله
وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصى والكفر المذكورة فى تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكى
وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد السحر الذى افتعلته عليه الشياطين
واتبعتهم فى ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكى قيل هما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا عليه على سليمان
فاكذبهم فى ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل
هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت
علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام ويكون
ما ايجابا على هذا وكذلك قرأه عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام
ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان ويكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بنى اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندى والقراءة
بكسر اللام ولكنها شاذة فحمل الآية على تقدير ابى محمد مكى حسن ينزه

٢

الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله
تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما
يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن
خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا
الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه
ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتاده وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة فى الارض
حين افسد والاستثناء من غير الجنس شايع فى كلام العرب سايغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه من الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم
فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد لم من ذكر الله تعالى الا ابليس
فى اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا نشتغل بها والله

حتى سجدوا لآدم

الموفق للصواب **الباب الثانى** فيما يخصهم فى الامور
الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه
الصلوة والسلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره
خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغيرات والالام والاسقام
وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة
فيه لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل
من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض
عليه الصلوة والسلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع

والعطش والحقد والغضب والضجر وماله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلوات الله تعالى
عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى
وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو
اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار واشروا بالمياشير ومنهم من وقاه
الله ذالك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس
ولين لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه يوم
دعوة اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى جبل ثور
وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة وان لم
يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا
سائر انبياءه مبتلى ومعافى وذالك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه
المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لاممهم
ووفورا لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض
المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس
واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذالك معصومة منه متعلقة بالملاء
الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال
عليه الصلوة والسلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم

انى

انى ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن
فاخبره ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات
التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شي باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو عليه الصلوة والسلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى
قد جا في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان
كما ذكرناه وكذالك اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه الصلوة والسلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك
وانه بخلافهم لقوله عليه الصلوة والسلام لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وكذالك اقول انه في هذه الاحوال كلها من
وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما
ناخذ بعد في بيانه فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه الصلوة والسلام سحر كما اخبرنا
الشيخ ابو محمد العتابي بقراتي عليه قال نا خلف بن محمد
نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد يوسف نا البخاري
نا عبيد بن اسمعيل قال نا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة رضي الله تعالى عنها قال سحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي
وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه ياتي
النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس

الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذالك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت
به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع
وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في امره لبس
وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه
كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد
انه كان عليه الصلوة والسلام يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعل فليس
في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح
في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا
فيما يجوز طروه عليه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا
فضل من اجلها وهو فيها عرضة الآفات كسائر البشر فغير
بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه
كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى
يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا
اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل عنه
في ذالك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعل وانما كانت خواطر
وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل اليه الشيء
انه فعل وما فعل لكنه تخييل ولا يعتقد صحته فيكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه

بيانا

بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا
الحديث تأويل اجلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن
المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البئر وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن ابن كعب وعمر بن
الحكم وذكر عبد الرزاق عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينما
هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والاخر عند
رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد
عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن
النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط
عن ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر
في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له
من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته
اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله
لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قوله

عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكره في الحديث فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن
على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ
عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابته السحر له
وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا
فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما
العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه
ويكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو
بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا انا
ابو العباس احمد بن عمر قال نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد بن
عمرويه نا ابن سفيان نا مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس
العنبري واحمد المعقري قالوا انا النضر بن محمد قال حدثنا عكرمة
قال ابو النجاشي قال نا رافع بن خديج قال قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون
قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه
فنقضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي رواية
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا
فلا تاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال

صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما
قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على
ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها
لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى
ابن اسحق انه عليه الصلاة والسلام لما نزل بادنى مياه بدر قال
له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه
ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي
ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا
يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله له وشا
ورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة
فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه
في امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة
وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح
بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله
التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله
والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه الصلاة والسلام من المعرفة
بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما
قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب واما ما يعتقد في امور احكام البشر

الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة الحق من المبطل وعلى المصلح من المفسد
فبهذه السبيل لقوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له
من حق اخيه بشيء فلا يأخذ شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه
ابو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد نا ابو بكر
نا ابو داود نا محمد بن كثير نا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن
زينب بنت ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي
رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق
فاقضي له وتجري احكامه عليه الصلاة والسلام على الظاهر وموجب
غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه
تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى
الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة و
شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به
لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع
عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله
له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه الامة فاجرى الله
احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من

من المبالغة في تبليغ الحجة بالبلاغ
مبالغة وبلوغا اذا اجتهد في الكلام
اي اجتهد في ايصال كلامه
الى اذن سامعه من
بعض
ح

ذلك

على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه وارفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح
في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي
بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه من علم الغيب الذي
استأثر به علم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته
ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من
اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو
او صحة او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب
فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في
الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه
لئلا يأخذ العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط
امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم ومسرة
نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها
اهو الذي بعينيه بياض وقد قال عليه الصلاة والسلام اني لامزح
ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما صورته صورة الامر
والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر
احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه
الصلاة والسلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون

لم خيانة قلب فان قلت فما معنى اذ قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فاعلم
اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر وان يأمر زيداً بامساكها وهو يحب تطليقه اياها
كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل
التفسير عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى كان
اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه
زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه
في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه
ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن
فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
يعلمه ان الله عز وجل يزوجه زينب بنت جحش فذلك
الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد
هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه
الذي اخفاه مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه
لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه
فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على
ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله
عليه وسلم عند ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم

الحج

وما لا يليق به من مدة عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا
ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم
به الاتقياء فكيف سيد المرسلين قال القشيري رحمه الله تعالى
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وبفضله كيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم
يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه
الصلوة والسلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق
زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة
حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل
فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان
الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها
زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها
ليباح مثل ذلك لامته كما قال الله تعالى لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها
قمعاً للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه
رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه
ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها وامر زيد
بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى

سيد الانبياء

ما ذكرناه عن علي ابن حسين رضي الله تعالى عنهما وحكاه السمرقندي
وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه قول ابي
بكر ابن فورك وقال انه معنى ذالك عند المحققين من اهل التفسير
قال والنبي صلى الله عليه وسلم عن منزه استعمال النفاق في ذالك
واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذالك بقوله تعالى
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله قال ومن ظن ذالك بالنبي
صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف
وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة
ابنه وان خشيته عليه الصلوة والسلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه
بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا
ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احل له كما عتبه على مراعاة رضاء
ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية
كذالك قوله له هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد روي
عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم
هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت
عصمته عليه الصلوة والسلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف
ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا
رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه الصلوة والسلام الذي حدثنا
به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال نا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو محمد
وابو الهيثم وابو اسحق قالوا انا محمد ابن يوسف نا محمد بن اسمعيل قال نا علي بن عبد الله

نا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس
قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن
تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان
الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذالك
ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال
في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجر اذ معناه
هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية
هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا
يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن
مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على
حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر

ابلغ

فيه ان الكتاب الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا ان لا هم من بعده ما قال

واهجر وهيبته من قال ذلك وحيرته لعظيم ما شاهد من حال الرسول
صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر
الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى
شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على
حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية
اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس ومن
رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده عليه الصلاة والسلام
ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه الصلاة
والسلام بان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم
ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين فلعل قد ظهر من قراين قوله عليه
الصلاة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة
ولما راوه من صواب راى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل
عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل
خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون منها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى
ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة وتاسيس الملة
وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه الصلاة والسلام اوصيكم

بكتاب الله

بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على
امر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق
المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقيل
ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا
في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه
فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في
مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله تعالى عنهما انطلق بنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي كرم الله
عنه هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي
انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني
مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو
محمد الخشني بقراءتي عليه انا ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا
ابو احمد الجلودي قال نا ابراهيم ابن سفيان ابن مسلم بن الحجاج نا قتيبة
نا الليث عن سعيد ابن سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد
بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه
فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها كفارة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيامة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة

وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
او لعنته او جلدته فاجعلها له زكوة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان
يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق
السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يقول مثل ذالك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا
ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه الصلوة
والسلام على الظاهر كما قال والحكمة التي ذكرناها فحكم عليه الصلوة
والسلام بجلده او ادبه او سبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال
ظاهره ثم دعا عليه الصلوة والسلام لشفقته على امته ورافته
ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله تعالى بها واحذره ان يتقبل عليه
في من دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنته له رحمة فهو معنى
قوله ليس لها باهل لا انه عليه الصلوة والسلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح
ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على
ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله معاقبته
بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما
خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق
وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعاءه
هنا ومن دعواته على غير واحد موطن على غير العقد والقصد بل هو جرى
به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع
الله بطنه وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته عليه

الصلوة والسلام في غير حديث عليه الصلوة والسلام لم يكن فحاشا وقال
انس سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله
ترب جبينه فيكون الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه الصلوة والسلام
من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذالك
للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذالك اشفاقا على المدعو
عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى
الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون
ذالك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذالك
له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا
سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذالك
شيئا فعوقب فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول
النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى
يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم
منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا
الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذالك
الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح
فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله عليه
السلام حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا

في قضية وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه
ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في
حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جا في الحديث الصحيح
وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعد حمله الغضب
عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له ضربتني بالقضيب فلا ادري
اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك
يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه
الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه الصلوة والسلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله
عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلث
مرات وهذا منه عليه الصلوة والسلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع ادب لكنه عليه الصلوة والسلام اشفق اذ كان حق نفسه
من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بالقضيب
في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه
انما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه با
القضيب الا تنبيهه فلما كان ايجاعه لم يقصده طلب التحلل منه على ما
قدمنا **فصل** واما افعاله عليه الصلوة والسلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي
المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله

غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على
السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه الصلوة والسلام لا ياخذ لنفسه منها الا الضرورة
وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته
ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف
يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد
او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم
في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب
اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب
الحمار وفي اسفاره الراحلة وقد يركب البغلة في معارك الحرب دليلا
على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك
يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها
وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى
فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد
وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جا في الحديث
الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين
واهله فقال لعائشة رضي الله تعالى عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك

بالكف ولا يتمت البيت على قواعده ويفعل الفضل ثم يتركه لكون غيره
خيراً منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو ومن قريش
وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت
الهدي وتبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من
مهنته ويتسمت في ملاءه حتى لا يبدو امنه شيء من اطرافه وحتى
كان على رؤس جلسائه الطير ويحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول
ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله
لعايشة في الذي دخل عليه بئس ابن العشيرة هو فلما دخل الان له القول
وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
ان فعله عليه الصلوة والسلام كان استيلافاً لمثله وتطييباً لنفسه
ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب
بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي
وقوله فيه بئس ابن العشيرة وهو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم

يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان
مطاعاً متبوعاً ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة
بل كان جائزاً بل واجباً في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تخريج الرواة
والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله
عليه الصلوة والسلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا
فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله تعالى كل شرط
ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم
وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها
قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه الصلوة والسلام وهو حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه
عما يقع في بال الجاهل من هذا وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليس
في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف
لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه الصلوة
والسلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم
~~ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء~~ لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه
قال اشترطي اولا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب
الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك
على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله عليه الصلوة والسلام

كما في قوله تعالى اولئك لهم اللعنة وقوله وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم

اشترطي لهم الولاء اى اظهري لهم حكم وبيني عندهم سنة ان الولاء
وانما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم خطيبا مبينا
ذالك وموبخا على المخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف
عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله اخذه باسم سرقتها
وما جرى على اخوته في ذالك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الاية تدل ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى
كذالك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
الاية فاذا كان ذالك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان
اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذالك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه
جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل كان قد ظن على صورة
الحال ذالك وقد قيل قال ذالك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل
غير ذالك ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى
يطلب الخلوص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل**
فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء
على جميعهم الصلوة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء
وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وابراهيم صلوات الله عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه
فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم

حسن

احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه تعالى اياهم بضروب المحن
زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر
والرضاء والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في
الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي قال نا
ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم
بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء
قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد
حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل
معه ربيون كثير الايات الثلث وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما يزال البلاء
بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عليه
الصلوة والسلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله
بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب
الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله
تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه
قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى ان
ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل

اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب
وابنه يوسف فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من
كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي قص الله علينا
وروي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه
واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنته
سيما لما ذكرناه من نيته في كون الخلق في جنته اصطبارا والعمل بالمعصية في داره
ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت
عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك
وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت
ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان
رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما اطيق اضع يدي عليك
من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي
صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا
احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال المفسرون
في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فيكون له كفارة وروي
مثل هذا عن عائشة رضي الله تعالى عنها وابي ومجاهد وقال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
عنه عليه الصلوة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة رضي الله عنها ما من

مصيبة

مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي
سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى
الشوكة ان يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من
مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة
السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجأة واخذه كما
يشاهد من اختلاف الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلوة
والسلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية
ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن
يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معناه
ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع
منقاد لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وان
قيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن
المؤمن رياح البلاء باقيا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه
عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه
سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا
معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه
قصمه حينئذ على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه

حشرجة ومقاساة نزع مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا والعذاب
الاخرة اشد كما يجعل في الاوزرة وكما قال الله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله تعالى في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على حالة
عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاءة ومنه
في حديث ابراهيم النخعي كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة
وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم مشاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تبعاته من قبل الله
وقبل العباد ويودي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه
او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن
من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين
بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا
تضل امته بعده اما في النص على الخلافة والله اعلم بمراده ثم رأى الامساك
عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله
يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون وكذلك قال عليه الصلاة والسلام في رجل مات
فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر وذلك لان الموت يأتي

المؤمن غالبا وهو مستعد له منتظر لحلوله فيهان امره عليه كيفما جاء وافضى الى راحة
من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه الصلاة والسلام مستريح او مستراح منه ويأتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق
الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه الصلاة والسلام بقوله
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام والتحية قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب
من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام
وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت على قتل متنقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذالكم كان عند الله عظيما وقال الله
تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا
الآية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا
ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع
الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به
وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما
فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الا
نصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم
وهو عليه الصلاة والسلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه الصلاة والسلام
قد نهى عن التكني فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه

اذ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره
ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤون ذريعة الى اذاه والازراء به
فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة
المجان المستهزئين فحمى عليه الصلاة والسلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء
نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس
في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب
ان شاء الله ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على
التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا
نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى
انس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي
عمر رضي الله تعالى عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه
وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل
يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد عليه الصلاة والسلام يسب بك والله
لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء
الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم
امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه الصلاة والسلام بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه الصلاة والسلام

ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن
عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون
في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول

في بيان ما هو في حقه عليه الصلاة والسلام سب ونقص من تعريض
او نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي
صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير
لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما
نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا
كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض
البشرية الجائزة عليه والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى
من لدن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن منذر اجمع
عوام اهل العلم على ان سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن
انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء
وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم
قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي
حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال
سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل

قتله حداً او كفراً كما نبينه في الباب الثاني منها ولا نعلم اختلافاً في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له وحكمه عند الامة القتل ومن
شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل
هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم وقال
ابو سليمان الخطابي لا اعلم احداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان
مسلماً وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه
مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب وقال
ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل
كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حياً ولم يستتب والامام مخير في صلبه
وقتله ومن رواية ابن المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكاً يقول من سب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلماً كان او كافراً ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره
ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه
وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى
زره وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا رحمهم الله تعالى اجمع العلماء على ان من دعا على

من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد
بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوماً يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم
رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه
ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل
له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاماً قبيحاً فقيل له ما تقول
يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب
فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب
اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله
عليه وسلم بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه
اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده عليه الصلوة
والسلام لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعراً متفنناً
في كثير من العلوم وكان يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكساً

ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة وكانت آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ
في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط
من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال
حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه الصلوة والسلام ما فيه
نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا
الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله تعالى
وكذلك اقول حكم من اغمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما
اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمانه او با
الميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه **فصل** في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه
عليه الصلوة والسلام فمن القرآن لعنه الله لمن يؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال
في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا
وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله انى يؤفكون

اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون
القتل من الضرب والنكال وكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل
وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب
اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد
ناقض هذا وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال الله
تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار
فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة
ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن قال
بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه
عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف
فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من
المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى
وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه
وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام وفي حديث

اخر ان رجلا كان يسبه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا
فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من
الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة
منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة نادى يا معشر
قريش مالي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه
وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير انا
فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام
فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع ان
رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك
قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن
ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله تعالى عنه ان امرأة هنالك في الردة
غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال
له لولا ما فعلت بها لامرتك بقتلها لان حد الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هجت امرأة من خطمة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس
ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم

بذلك

بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند
ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي
اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي
اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقال فقلت يا خليفة رسول الله
دعني اضرب عنقه سبه اياك فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه
ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل
رجل سب عمر رضي الله تعالى عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرء مسلم
بسب احد من الناس الا رجل سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ان
فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة
بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير
واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء
الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير سب فيكون الخلاف هل هو سب ام غير سب او يكون رجع
وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه الصلوة والسلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي

وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا
وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه
فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف وكفر اليهود بعد السلام قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا
لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك وان رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير
دينه وقد قال عليه الصلاة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان
لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته
حد فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلاة والسلام القتل لعظم قدره
وشفوف منزلته على غيره   فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله
عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر
الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من ذلك وقد قال اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين
الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان
ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لهم يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم
ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله

تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان
الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه
فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن
خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة
ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك هدر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات
انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا عليه الصلاة والسلام على
شرودهم هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما
فاء ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم
للدين وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض
ائمتنا رحمهم عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه الصلاة والسلام من اقوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي وعبد وامرأة
والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله تعالى عنها ولو كان صرح بذلك
لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم
وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم

لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم
صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان سرًّا وباطنًا وظاهرهم الاسلام والايمان
وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز
بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق
من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتل
النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي
صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو
الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته
منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء
الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن
لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال معناه
اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل قائل هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه
والتهمة له وانما راها من وجه الغلط في الراي في امور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك

لم يعاقبه

لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا
دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون
دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعاء على سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي
صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض
بالاذى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد قدمناه ان الاذى والسب
في حقه عليه الصلوة والسلام سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا
الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث ببعض ما تقدم هل كان
هذا اليهودي من اهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل
والاولى في هذا كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنوا ولهذا ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال
الخوارج للتالف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه
قبل وقد صبر لهم عليه الصلوة والسلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى
ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم وانزالهم من صياصيهم
وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة
القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم عن جوارهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلوة والسلام
ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله

التى ان تقدم منها وانما يكون هذا لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من
القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه
الاعراب من الجفاء والجهل عليه او جبل البشر من الغفلة كجبذ الاعرابى بازاره
حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابى شراءه منه
فرسه التى شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا
مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبى صلى الله عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
مما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله عليه الصلوة والسلام في حديث فاطمة
رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يؤذينى ما آذاها والا انى لا احرم ما احل الله
ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذى
به كافر رجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى
الذى اراد قتله وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل
الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه
قبل وبالله التوفيق **فصل** قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تقدم الكلام في قتل
القاصد لسبه والازراء به وغمصه باى وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه
بين لا اشكال فيه الوجه الثانى لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما
قال في جهته عليه الصلوة والسلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في جهته عليه الصلوة والسلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة
ما لا يجوز عليه او نفى ما يجب له مما هو في حقه عليه الصلوة والسلام نقيصة مثل ان ينسب اليه
اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يضع من مرتبته او شرف نسبه

او وفور عقله او زهده او تكذيب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه الصلوة والسلام
وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او يأتى بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع
من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة
حملته على ما قاله او لضجر ~~بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة~~
~~حملته على ما قاله~~ او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة
وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشىء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه
الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب
النبى صلى الله عليه وسلم في ايدى العدو يقتل الا ان يعلم تبصره او اكراهه وعن ابى زيد
لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه
حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان
من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة
وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابى فعرف النبى صلى الله عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها
اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمور
الفصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفى نبوته او رسالته او وجوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم

المأمون صح

يقطع ان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره
بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا يسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد
صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم
في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شي تقوله يقتل قال
ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى
اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد
لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه
ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب فان تاب والا
قتل ان كان معلنا بذلك وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف
مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فهو كافر جاحد وقال ومن كذب النبي
صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود
وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان تاهرتي
ولم يكن تهاميا قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة **فصل**
الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله
عليه وسلم او غيره يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهنا متردد النظر

لزوال الدنيا اهون
على الله من قتل مؤمن
بغير حق

وحيرة

وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى
عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال
القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد صلى الله
عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي
صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب
لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه
لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على سب النبي صلى الله عليه وسلم او
شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على
ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي
الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل
وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل
على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره
اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين
وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا
بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي
عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب

بعد داحة بها د السلطان وكذالك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم
من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به انه ان كان يعذر
بالجهل وعدم معرفته بالسنن فعليه الادب الوجيع وذالك ان هذا لم يقصد بظاهره
سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه الصلوة والسلام وانما لعن من حرمه من الناس
على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء
الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من
هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد منقطع الى ادم عليه الصلوة والسلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب
من اباه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا لو قال لرجل هاشمي لعن
الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم
قولا قبيحا في اباه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم
ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعد اباه واخراج النبي صلى الله عليه
وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله
الى ادم انه ان ثبت ذالك عليه قتل قال القاضي رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا
رحمهم الله تعالى فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر
الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ
عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله
ابن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل

هاشمي رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل
ان يكون قال ذالك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل
يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر
بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه الصلوة والسلام الجائزة عليه
في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبيه به او عند هضيمة نالته
او غضاضة لحقته وليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه
او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير للنبي صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير
بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم او ان كذبت
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم
انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد
صبر نبي الله من عداه وحلم مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب
كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول والمتساهلين في الكلام كقول
المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت
شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد
من ابيه بدل هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت
الثاني في هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم وفضله والعجز يحتمل
الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها
وهذا اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي
جبريل وقول الاخر اما اذ رغبت من اهل الكهف فر من الخلد واستجار بنا

فصبر الله قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد
المعروف بالمعتمد ووزيره ابو بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان
وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء
وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا ابن هاني الاندلسي
وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الى حد الاستخفاف والنقص
وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته
فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا
ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر
النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة المصطفى ولا عزز حظوة الكرامة حتى
شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف
قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان
درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس
قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب وقال له
يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته
وذكر القتيبي ان مما انكر عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه
اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا

كما فرق الشرك كان وقد انكروا عليه ايضا قوله في ممدوحه كيف لا يدنيك
من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم
وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف الى احد فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا
مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل
عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال
مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء
قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه
عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا
مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له كما امرنا الله
وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه
مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما
الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه
فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين وهو اشد عقوبة
وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره
عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك
المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان

ينبغي ان يكفر بمثل هذا ولو كان اثنى على العبد بهيبته واحتج بصفته ما لك كان
اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
ابو الحسن ايضاً في شاب معروف بالخير قال لرجل شيا فقال له الرجل اسكت فانك
امي فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم امياً فشنع عليه مقاله وكفره الناس
واشفق الشاب مما قاله واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر
عليه فخطا لكنه مخطى في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي
صلى الله عليه وسلم امياً اية له وكون هذا امياً نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته
احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجاء
الى الله يترك لان قوله لا ينتهي به الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضاً مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس
شيخنا القاضي ابا محمد ابن منصور رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشي فقال له
انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه
وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض
فقهاء الاندلس بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذالك حاكياً
عن غيره واثراً له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته
ويختلف الحكم باختلاف ذالك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار عليه
والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد
فاعله وكذالك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
لذالك والمحكي عنه فان كان القائل لذالك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية

الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله
ووجب على من بلغه ذالك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله
لقطع ضرره عن المسلمين وقياماً بحق سيد المرسلين وكذالك ان كان ممن
يعظ العامة او يودب الصبيان فان من هذه سريرته لا يومن على القاء ذلك
في قلوبهم فيتاكد في هولاء الايجاب بحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته
وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم وحماية عرضه
متعين ونصرته على الاذى حياً وميتاً مستحق على كل مومن لكنه اذا قام بهذا
من ظهر به الحق وفصلت القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الا
ستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان
حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد
يسمع مثل هذا في حق الله تعا ايسعه ان لا يودي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذالك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الا
ستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذالك واما الاباحة لحكاية قوله لغير
هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلاً في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه
وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكراً ولا اثراً لغير غرض شرعي بمباح
واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله
تعا مقالات المفترين عليه تعا وعلى رسله عليهم في كتابه على وجه الانكار لقولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذالك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على
الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى من المسلمين على حكايات

مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها
عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد
صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق هذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه
على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني
فكل هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له
على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام
من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن
ذلك ونهي عن العود اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان
لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا
عن من يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري
فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله تعالى على طريق الزجر
والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه
ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا
بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه عليه
الصلاة والسلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته
الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن
سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد
ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا ال

المتقين

المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله
وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول
ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
ابن سلام رحمه الله تعالى قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم
احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم فصل
الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه
وما يطرأ عليه من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر
في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة
العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج
عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في
ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم
وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه
لا يفقه او يخشى فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه
الصلاة والسلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من
نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه الصلاة والسلام وهذا لا غضاضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة في جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج من الله تعالى لهم
الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في

في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى نعمه عليه في القرآن على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر لذاكرها على وجه تعريف حاله والخبر
عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة
على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من
اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك وذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا
رجل يطلب ملك ابيه وان اليتيم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة
واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه سيف بن
ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذ وصف بانه امي كما وصفه
الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب
الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة
سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته

وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيرته وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصد
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم واخبار
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي
امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة التشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك التحدث بها وساعدوه على
طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اورد هذا على قوم يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم يكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها
شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام

على معانيها وكفوا بطرحها وترك التشاغل بها الا ان يذكر على وجه التعريف
بانها ضعيفة المعاني واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه
في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل
الكتاب الذين لحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها
وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على
النبي صلى الله عليه وسلم وما يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل
هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلوة والسلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله
ويظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر
عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنت واذا اخذ في ابواب
العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله واحواله عليه الصلوة والسلام
تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من
العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والمعصية فاذا تكلم في الاقوال هل يجوز عليه
الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا او نحوه من العبارة
ويجتنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا
يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى
اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل
يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وادب
من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره

عليه الصلوة

عليه الصلوة والسلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رأيت
بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت
بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما
يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه عليه الصلوة والسلام اوجب والتزامه اكد فجودة
العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال
عليه الصلوة والسلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه
له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة
ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور تعظيمه
وتوقيره وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان بعض السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم
يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر
باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا
له واشفاقا من التشبه بمن كفر به وبالله التوفيق **الباب الثاني** في حكم سابه وشانئه
ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قال القاضي رحمه الله تعالى
قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه الصلوة والسلام وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه
وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب مالك رحمه الله واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته
ولا ينفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر
في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جا

تائبا من قبل نفسه لانه وجب لا يسقطه التوبة كسائر الحقوق قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد
مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك
قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال
من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف
خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل
على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله تعالى وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته لا يسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق
اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي تقبل توبته واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يستتاب قال محمد بن سحنون
ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلوة والسلام لانه لم ينتقل
من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول بالاستتابة ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والبارئ تعالى منزه
عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه الصلوة والسلام
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من

الآدميين

من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا يسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنى وسرقة وغيرهما
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته
وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى يريد
والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف
ولان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي
حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد
وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال
به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل
وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر لما قدمناه
ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما
نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم
الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون الكفر عليه وتشهدون عليه
بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بما يجب من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا
له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره
ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك

لكفره

نادم عليه ولا يمتنع ثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم يثبت
له خصايص كقتل تارك الصلوة واما من علم انه سبه معتقدا لحله فلا
شك في كفره بذلك وكذالك ان كان سبه في نفسه كفرا كالتكذيب والتكفير
ونحوه فهذا امما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله
بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه
عما لم يستره وكذالك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه
فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله عليه
وسلم تقتل كافرا بلا خلاف فهذه التفصيل تحقيق كلام العلماء ونزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجرا اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها
تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث
تصح في الاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد
اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان
المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول
عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله
تعالى عنهم وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي
والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس ومحمد بن الحسن وعبيد بن
عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي
سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول
اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرا القتل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
من بدل دينه فاقتلوه وحكي ايضا عن عطا ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتدة والمرتد سواء وروي عن علي رضي الله تعالى عنه

لا يقتل المرتدة وتسترق وقال عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النساء
في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سوا واما
مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه يستتاب ثلثة ايام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق
واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال
الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يعني في الاستينا ثلثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد
قول عمر يحبس ثلثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن
بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
المزني وقال الزهري ويدعى الى الاسلام ثلث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله
عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى عنه انه يستتاب ثلث مرات
في ثلثة ايام او ثلث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم
يدعى المرتد الى الاسلام ثلث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على
هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك
ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويوتى من الطعام بما لا يضره
وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال
اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سوآء
ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذالك
يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذي
ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو

قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل في الرابعة فقال اصحاب الرأي
ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفيين **فصل** قال القاضي رحمه الله تعالى هذا حكم من ثبت عليه ذلك
بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة
عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل
ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه
القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين
والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في
السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف
عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات
الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من
رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى
ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان
عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ
ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل

عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق
عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة اخرى مثلها ولا تهراق
الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب
عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط
الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك الشاهدان
من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما
فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي
الارشاد **فصل** قال القاضي رحمه الله هذا حكم المسلم فاما الذمي فاذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا
ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل وما هو
عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على
قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان
نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم
وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط
حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون
به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به

ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب
الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه
الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما
اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى
الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن
فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت
عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب
قتله لانه حق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده
الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل
توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قتل الا
ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي
كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك
الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي

قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو
هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي
او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال
ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير او نحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما
يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن
القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن
سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن
الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل
لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم
نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا واذا قتل واحدا منا
قتلناه وان كان من دينه استحلاله وكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه
وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا
ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم
يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله تعالى ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم
فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي
عن المدنيين في ذلك ما حكاه ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى
عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة

ومات وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو
المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا
مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
وهو الآن في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه
استراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت الا
اتكلم فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار
حيا وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه ولقد كتب الى مالك فكتبت اليه بان يقتل وان تضرب عنقه وكتبت
ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك
وما اولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة
بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف
اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى
لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل
عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو
القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا
يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل
عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه
عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم حد القذف
ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة

حرمة النبي

حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين
فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة
عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون
الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له
مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان
قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
يقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب
وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل
ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول
الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن
سحنون في الزنديق فتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله
قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل
الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقال اصبغ قتل
على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف

وقال

انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه
بينة او لم يقبل انه يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن
حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد
للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى
واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وابن مسعود
وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق
وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما
يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو
على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث
الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها
واعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من
اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين
كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا
جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية الى انه اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون
بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله
عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة

الميراث

الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا
معنى قوله واختصاره **الباب الثاني** في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه
وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه واصحابه رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في
استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن
القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن
ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله
كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي
زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسألة هرون بن حبيب اخي عبد الملك
الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها
انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم
استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله
تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد
الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح
القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال
كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة
هو انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر

بغير سب لله تعا واظهار الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة لدين الاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمنا
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا
احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين
آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب
على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على
ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله **فصل** واما من اضاف
الى الله تعا ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر
ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف فيه السلف
والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه
في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان
تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل
عمر رضي الله تعا عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد
الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول
مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل
الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف

لتأويل كتاب الله تعا يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا
والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد
في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم
عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع
قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وقال وهذا عمل عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعا قال ابن القاسم ان الله تعا لم يكلم موسى تكليما استتيب
فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله تعا كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق
في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم
وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعا ولعبد مؤمن
خير من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف
شيئا من ذات الله تعا فاشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر
قطع ذلك منه لانه شبه الله تعا بنفسه وقد قال فيمن قال القرآن
مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي
ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين من اصحابنا جوابه مختلف
يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدرية واكثر اقوال
السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم
ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقال ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن

غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في الآخرين وهو من قوله
اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء
المضلة واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد ابن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم
علي ابن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري رضي الله تعالى عنهم وهو رأي جماعة
من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة
اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وجري احكام الاسلام عليهم قال اسماعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
سائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض
كما قال في المحارب ان رأى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحارب
انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا
مما يلقون بين المسلمين من العداوة والله الموفق للصواب فصل في تحقيق
القول في اكفار المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى الكفر هو اذا وقف
عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون
في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه
ولم ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم
فساق عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال
سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب
آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه

عن اعادة

عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام
اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر
وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول
امامه مالك ابن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم
بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلوة على ميتهم
ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم
ورثتهم ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان
الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد
ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر
ومثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان سأله
عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج
مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير
في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطاء في ترك
الف كافر اهون من الخطاء في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه الصلوة
والسلام فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله تعالى فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب
معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسمية الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها بانه



فقد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون
كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج
وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل
قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر
قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال واذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذه الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به
من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على
المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم
ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم
بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث وعني اضرب عنقه يا
رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه الصلوة والسلام يقرؤن
القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل في قلوبهم وكذلك
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
الى فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشيء
اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا
ينشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى
في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري
في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة
ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد رضي الله تعالى عنه الرواية واتقانه
اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا يقتضي نصا بكونهم من غير الامة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة

وغيرهم رضي الله تعالى عنهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون في امتي وحروف
المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها
بمن لكن ابا سعيد رضي الله تعالى عنه اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الا
لفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية فهذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم
ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به ولا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو
الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له
في فعله وتكذيبا بخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو
كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا فهو فاسق الا ان يكون ممن لا يعرف الاصل فهو
مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه
على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف
في تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود
الاصبهاني قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من
حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة
النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم طباع يمكن
معها الاستدلال وقد حكى الغزالي قريبا من هذا المذهب في كتاب التفرقة وقائل
هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق

دين المسلمين او في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب
والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما
يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه
مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت
بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر
كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم
من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب الله تعالى وكذلك القرامطة واصحاب
الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف با
لالهية لله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم او انه محدث
او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه
او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثمه صانعا للعالم سواه او مدبرا
فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ
الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها بحسب زكائها او خبثها
وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله تعالى عليهم بعد علم بذلك

فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية و
والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك
من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن جوز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
واهل الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر
الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة
والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال
الشرع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم
او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان
كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى
وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة
والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود
القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر

الروافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله تعالى عنه في الرسالة للنبي صلى
تعالى عليه وسلم وبعده فكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة
وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء او من
ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه
يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم
كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه الصلاة والسلام انه
خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة
للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون
تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا
وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمعا
على نقله مقطوع به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا
نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام من الملل او وقف فيهم او شك او صحح
مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب
سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جماعة الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا رضي الله تعالى عنه اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء
قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها
ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد
قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم

على مقتضى

قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وكذلك
نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه
مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص
الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال
علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير
كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب
وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات او عدد
ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة
وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلم اذ لم يرد فيه في القرآن
نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون
على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في
قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم
اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول
المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء
لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او
المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة
كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت

والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه
وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان
ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة
المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامور كلها كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة
والقبلة التي صلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا
بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلاة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما
وقع لهم ولا ترتاب في ذلك والمكذب بعد بحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري
وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه واجمعوا انه قول الرسول
صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم
الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من
انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كقول الباطنية والاسماعيلية
او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا
عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بهذا القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان
يكون في سائر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل
على الله تعالى لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

باحتجاجه

باحتجاجه بجملته وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد
علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب
عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او
لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة والنار والبعث
والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله
متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار
والحشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانما هي لذات روحانية ومعان باطنة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعمهم ان معنى القيامة الموت
او انفصال هيئة الافلاك وتحلل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير
غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر
من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان
وخلافة علي رضي الله تعالى عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة
فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة
كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك
من اجل تهمة الناقلين وهم المسلمون اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة
فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين
من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع
لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى الآية وقوله عليه الصلوة والسلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع

ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون
الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره
الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله تعالى هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله
فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من
كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من
الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله تعالى ورسوله ويجمع المسلمون ان
ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس بالتزام الزنانير
وذي اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يكون معه العلم بالله
قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما الذي
فعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية
او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى
عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام
فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره
وقاله ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان
واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا
وانما يكفر من اعتقد ان مقالته حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله تعالى

كلام

عليه

عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه
لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان
قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا
بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك به حينئذ كفرا
فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيق
ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل انما قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى
تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وانا
واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول
عالم ولكن لا علم له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمال
لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند سائر فرق
اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمال قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمال الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم والاعراض
عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم

ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم
وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين
من قال بهذه الاقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا
قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما
مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع في اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشئ
منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا
حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله
تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم قال في المبسوط
طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة
والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال
ابن القاسم في كتاب محمد من شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكره
في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوط ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى
يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك
وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا

قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي
كفرت به الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن
سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سبه وسب نبيه لانا عاهد
ناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا
يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح بسبه واضاف
ما لا يليق بجلاله والاهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة
او النافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل
توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه
عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار
كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي
واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب البهيمة على سوء
الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من ادعى له الالهية وقد قتل
عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية

او الرسالة او نفى ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل
من ذلك فى سكره او غمرة جنونه فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة
عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل
فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله
عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته
بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا نامن باطنه
ولا نقبل رجوعه وحكم السكران فى ذلك حكم الصاحى واما المجنون والمعتوه فما
علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله
من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك حتى
ينكف عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه
من ادعى له الالاهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبى وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على
صواب فعلهم والمخالف فى ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام
المقتدر من المالكية وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الالاهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا فى ابن ابى الغراقر وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا ايام الراضى وقاضى قضاة بغداد يومئذ ابى الحسين بن ابو عمر المالكى وقال
ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله
خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب
ومحمد فى العتبية فيمن تنبا يستتاب اسره ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون

وغيره وقاله اشهب فى يهودى تنبا وادعى انه رسول الينا او كان معلنا بذلك استتيب
فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابى زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما
اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر فى انه لا يقبل
توبته وقال ابو الحسن القابسى فى سكران قال انا الله ان تاب ادب وان عاد الى مثل قوله
طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم من سقط
القول وسخف اللفظ ممن لا يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضى الاستخفاف بعظمة ربه
وجلالة مولاه او تمثل فى بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام
المخلوق بما لا يليق الا فى حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد
للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ من فقهاء قرطبة بقتل
المعروف بابن اخى عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده
وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان
بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفى فيه الادب
وافتى بمثله القاضى حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى ايشتم ربا
عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى
الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه
واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضى لتهمته بالمداهنة فى هذه
القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه فى ذلك الهنة الواحدة والفلتة
الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وصورة

حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل
نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شئ
عليه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل
يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه
لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب
واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا
عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا
مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا الى اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يثقفه ثقاف
تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره
والاغلاظ عن عودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه
ان يذكر اسمه في كل شئ حتى يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول اخزى الله
الكلب وفعل به كذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله الا
فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله
خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر
الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته
اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله تعالى وينزل الكلام في هذا الباب
تنزيله في باب ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به

وجحدهم حكم نبينا عليه الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان
الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية
الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الما
جشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصه
قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم
من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به فاضرب عنقه الا ان يسلم
وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن عبد الرحمن في بعض اجوبته
من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه استتيب
فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك
لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على
اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا من الانبياء او تنقص احدا
او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كانه وجه مالك
الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله
فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه
في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل
ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول

الخبر بهما فاما ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملئكة
او الانبياء كهاروت وماروت في الملئكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيما قدمناه اذ لم
يثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال المقول
فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم يثبت له نبوته واما انكار كون
الاخر من الملئكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف
العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب
اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد انكر السلف الكلام في هذا مما ليس تحته عمل
لاهل العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم من استخف بالقران او المصحف او بشيء
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر
او اثبت ما نفاه او نفا ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر
عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
رحمه الله قال نا علي نا ابن عبد البر ابن عبد المومن نا ابن داسه نا ابو داود
نا احمد بن حنبل نا يزيد بن هرون نا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر وتوول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك
ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف
بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف

بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب
الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه
حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما
لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل
هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضي الله تعالى عنها بالفرية لانه خالف
القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى
لم يكلم موسى تكليما يقتل وقال عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذا كل من كذب بحرف منه قال
وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه
انه قال ان الله لم يتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على تكذيب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من
التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول
اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله
ومن كفر به قتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن
كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم
يهوديا فحلف له بالتوراة فقال له الاخر لعن الله التورية فشهد عليه شاهد
بذلك ثم شهد اخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال
ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو
اتفق الشاهدان على لعن التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته



واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا واشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي ابن مقلة
سنة ثلث وعشرين وثلث مائة وكان فيمن قال لصبي لعن الله معلمك
وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن
المصحف فانه يقتل **فصل** وسب آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واهل بيته وازواجه
واصحابه عليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله تعالى نا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا نا ابو يعلى
السنجي نا ابن محبوب نا الترمذي نا محمد بن يحيى نا يعقوب بن ابراهيم نا عبيدة
بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا وقال عليه الصلوة والسلام
لا تسبوا اصحابي فانه يجي اقوام في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم
وعنه عليه الصلوة والسلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني
في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا توذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله
تعالى عنها هي بضعة مني يوذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور
مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله تعالى من شتم

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله
تعالى عنهم فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان رضي
الله تعالى عنه والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت
ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان رضي الله تعالى
عنهما او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابن محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم انهم كانوا على ضلال وكفر
قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك
من سب ابا بكر رضي الله تعالى عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله تعالى عنها
قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى
يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن عاد لمثله
فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر الطيب قال ان الله تعالى
اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه وقالوا اتخذ الرحمن و
لدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة فقال الله تعالى
ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها
من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة
رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان
سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه
تعالى القتل كان حكم موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله عنها

بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا
فجلده ثمانين وحلق رأسه وسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم
في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار
فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قسم ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين
الاية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم الاية وهو الانصار ثم قال هو
لا الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في في المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال
في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا
لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه الصلاة
والسلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد
حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام مقامه بما
يجب له والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم عليه الصلاة والسلام ولو سمعه الامام واشهد عليه
كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي الله تعالى عنها ففيها قولان احدهما انه يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول
وروى ابو مصعب عن مالك فيمن سب من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا
وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم

ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت
ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين
بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض
في الله تعالى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى هنا انتهى القول بنا فيما حررناه
وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان لكل
في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت
فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل
في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي
الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما اورده والى الله تعالى
جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع
لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين
وحيه واسهرنا فيه جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله وان يحمي اعراضنا عن ناره الموقدة
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن
حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل
ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب

الامين من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من
جمعه والهمه وفتح البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع
وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى لا يخيب من امله
ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلوات الله على نبينا محمد خاتم
النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم القيمه امين
يا معين

تمت الكتاب

م

تم الكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بعون الله تعالى وكرم
في عشر من صفر الخير سبع وستين ومائتين بعد الالف من هجرة النبوية
على يد اضعف العباد الحاج عبد اللطيف لطفي ابن الحاج على من بلاد الجه قرانق
عفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
امين يا معين

م